بذل المجهود

فى إفحام اليهود

ألفه

الحكيم المحقق السموءل بن يحي بن عباس المغربى

من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه

(ويليه الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية)

قدم له

محمد أحمد الشامى

الثمن ١٠ ص

يطلب من

مكتبة الجهاد الكبرى بأول الفجالة بالقاهرة

والشامى بالمنصورة

مطبعة الفجالة الجديدة

بذل المجهود

فى إفحام اليهود

ألفه

الحكيم المحقق السموءل بن يحيي بن عباس المغربي

من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه

(ويليه الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية)

قدم له

محمد أحمد الشامى

يطلب من

مكتبة الجهاد الكبرى بأول الفجالة بالقاهرة

والشامى بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتاب ومؤلفه :

هذا كتاب « بذل المجهود فى إفحام اليهود » لمؤلفه السموءل بن يهوذا المغربى الأندلسى الطبيب الماهر والحكيم العالم اليهودى أولا والمسلم آخراً . قدم هو وأبوه إلى بلاد المشرق ، وكان أبوه ينشد الحكم والمال شأن كل يهودى . وكان ولده السموأل يحب العلم ويطلبه بشغف وشوق ومثابرة حتى أتقن فنون الحكمة ، وتضلع فى علوم الرياضة ، وتبحر فى الفنون الطبية ، وأحكم أصول ذلك أيما إحكام ، وجمع فوائدها ونوادرها . وصنف فى ذلك مصنفات ، وراد المشرق كله ثم أقام فى بغداد ورحل منها إلى أذربيجان ، وهناك أقام فى «مراغة» واكتملت سعادته بالزواج وإنجاب الأولاد ، ودرس مبادىء الإسلام فى كل هذه المراحل ، وفهم كل أسراره ، وعلم محاسنه وفطرته ، وكان من نتيجة هذه الدراسات أن أسلم الرجل عن علم وخبرة ويقين ، وكان قبل اعتناقه للإسلام قد صار من كبار أحبار اليهود ، يدلنا على واسع علمه وكثرة خبرته مافى هذا الكتاب من فهم وإدراك ، وتحليله لآيات التوراة ، وتوضيحه لأوهام الأحبار وضلالاتهم ، وإظهاره لمواطن السر فى طوايا نفوسهم .

وقد أظهر أثناء مناقشاته لعقائد اليهود فى كتابه الديانة اليهودية على حقيقتها ، وعرفها تعريف المتعمق فى فهمها ، وبين الصحيح منها والفاسد ، وكشف عن أخطاء القوم ومغالطاتهم ، وفضح طرقهم الملتوية وحيلهم الماكرة ، وإنك لواجد فى هذا الكتاب مخازى لاحصر لها ، ومفاسد كثيرة .

وقد استطاع المؤلف بما وصل إليه من علم بالتوراة ، وواسع اطلاعه على كتب القوم متوناً كانت أو شروحاً ، أن يفحم كل علماء عصره من اليهود .

ولا يزال هـذا الإفحام يتحدى أحبارهم وحكماءهم وفقهاءهم بالرغم من مضى أكثر من ثمانية قرون على وضع هذه الرسالة ، وقيام هذا التحدى .

وإنها لرسالة قيمة حقاً ، وإن دلت على شيء بعد ماحوته من حجج وبراهين ، إنما تدل على واسع خبرة الرجل ، وتمكنه من فهم اللغة العبرية ، وآدابها وأصولها وفروعها ، وعظيم فهمه للتوراة بمقدار مايبين من جهل الذين ترجموها ، أو تجاهلهم للحق والحقائق ، أو توجيههم الترجمة إلى حيث أغراضهم التى تنحصر فى السيطرة على قومهم ، واحتلال أماكن الصدارة والرئاسة بينهم ، وجمعهم فى بيئة مستقلة ، وتوجههم إلى شريعة من صنع أيديهم ووحى أفكارهم .

حدث المؤلف عن نفسه فقال : إن أبى كان يقال له : الراب يهوذا بن أيوب ، من مدينة فاس التى بأقصى المغرب . والراب : لقب ليس باسم . وتفسيره : الحبر . وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة . وأقدرهم على التوسع فى الإنشاء والإيجاز فى ارتجال منظوم العبرانى ومنثوره . وكان اسمه المدعو به بين أهل العربية أبا البقاء بن يحيى بن عباس المغربى وذلك أن كثيراً من متخصصيهم يكون له اسم عربى ، غير اسمه العبرى مشتق منه ، كما جعلت العرب الاسم غير الكنية . وكان اتصاله بأمى ببغداد وأصلها من البصرة . وهى إحدى الأخوات الثلاث المنجبات فى علوم التوراة ، والكتابة بالقلم العبرى . وهن بنات إسحاق ابن إبراهيم البصرى الليوى ، أعنى سبط ليوى ، وهو مضبوط النسب لأن منه كان موسى عليه السلام .

وكان إسحق هذا ذا علوم يدرسها ببغداد . وكانت أمهن نفيسة بنت أبى نصر الداودى المصرى . وهذا الداودى من رؤسائهم المشهورين ، وذريته إلى الآن بمصر . وكان اسم أمى باسم أم شموائيل النبى عليه السلام .

وكان هذا النبى ولد بعد أن مكثت أمه عاقراً لا ترزق ولداً ، ولا تحبل مدة

سنين ، حتى دعت ربها فى طلب ولد يكون ناسكا لله تعالى . ودعا لها رجل صالح من الأئمة يقال له عبلى ، فولدت شموائيل النبى . ومكثت أمى كذلك عند أبى مدة لا ترزق ولداً ، حتى استشعرت العقم . فرأت فى منامها أنها تتلو مناجاة حنة أم شموائيل لربها ، فنذرت أنها إن رزقت ولداً ذكراً تسميه شموائيل ، لأن اسمها كان باسم أم شموائيل ، فاتفق أنها بعد ذلك اشتملت على . وحين رزقتنى دعتنى شموائيل وهو إذا عرب : السموءل . وكنانى أبى أبا نصر ، وهى كنية جدى . وشغلنى أبى بالكتابة بالقلم العبرى ، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها . حتى إذا أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشر من مولدى شغلنى حينئذ بتعلم الحساب الهندى وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبى الحسن البسكرى . وقرأت علم الطب على الفيلسوف أبى البركات هبة الله بن على رحمه الله تعالى والتأمل فى علاج الأمراض ، ومشاهدة ماينفق من الأعمال الصناعية فى الطب والعلاجات التى يعالجها خالى أبو الفتح الطبيب ابن البصرى .

فأما الحساب الهندى والزيج فإنى حملت علمهما فى أقل من سنة ، وذلك حين كمل لى أربع عشر سنة ، وأنا فى خلال ذلك لا أقطع القراءة فى الطب ، ومشاهدة علاج الأمراض ، ثم قراءة الحساب الديوانى . وعلم المساحة على الشيخ الإمام العالم أبى المظفر بن السهروردى رحمه الله تعالى . وقرأت الجبر والمقابلة أيضاً عليه وعلى الكاتب ابن أبى تراب . وترددت إلى الأستاذ أبى الحسن بن البسكرى وأبى الحسن بن النقاش ، لقراءة الهندسة ، حتى حللت المقالات التى كانا يحلانها من كتب إقليدس وأنا فى خلال ذلك متشاغل بالطب حتى استوعبت ماذكرته من الأستاذ ابن البسكرى من هذه العلوم ، بقى بعض كتاب المجسطى فى الحساب والكتاب السابع فى الجبر والمقابلة للكرخى لا أجد من يعرف منه شيئاً وغير ذلك من العلوم الرياضية مثل كتاب شجاع بن أسلم فى الجبر والمقابلة وغيره .

وكان لى من الشغف بهذه العلوم والعشق لها مايلهينى عن المطعم والمشرب إذا فكرت فى بعضها ، فخلوت بنفسى فى بيت وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ، ورددت على من أخطأ فيها ، وأظهرت أغلاط مصنفيها ، وعربت ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه ، وأدربت على إقليدس فى ترتيب أشكال كتابه بحيث أمكننى إذا غيرت نظام أشكاله أن استغنى عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة بعد .

وكتاب إقليدس معجز لسائر المهندسين ، إذلم يحدثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ، كل ذلك فى هذه السنة ، أعنى الثامنة عشرة من مولدى واتصلت تصانيفى فى هذه العلوم منذ تلك السنة وإلى الآن ، وفتح الله على كثيراً مما ارتج على من سبقنى من الحكماء المتدربين ، فدونت ذلك لينتفع به من فُتح عليه .

وفى خلال ذلك ليس لى مكسب إلا بضاعة الطب ، وكان لى منها أوفر حظ . إذ أعطانى الله من التأييد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التى لا علاج لها : فما عالجت مريضاً إلا عوفى ، وما كرهت علاج مريض إلا عجز عن علاجه سائر الأطباء ، وكاعوا[1] عن تدبيره .

فالحمد لله على جزيل مننه ، وعظيم فضله ونعمه .

واتضح لى بعد مطالعة ماطالعته من الكتب التى بالعراق والشام وآذربيجان وكوهتان : الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى سبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وسمته بالمخلّص ذى القوة النافذة ، وهو يبرىء من جملة أمراض عشرة فى بعض يوم ، وغيره من الأدوية التى ركبتها ، مما فيه منافع وشفاء للناس بإذن الله .

وقد كنت قبل اشتغالى بهذه العلوم — وذلك فى السنة الثانية عشرة والثالثة

(١) كاعوا : أى جبنوا أو هابوا علاج المريض .

عشرة — معتنياً بالأخبار والحكايات ، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمن القديم ، والمعرفة بما جرى فى القرون الخالية . فاطلعت على التصانيف المؤلفة فى الحكايات والنوادر على اختلاف فنونها . ثم انتقلت عن ذلك إلى محبة الأسمار والخرافات الطوال ، ثم إلى الدواوين الكبار ، مثل ديوان أخبار عنترة ، ودلهمة والبطال ، وأخبار اسكندر ذى القرنين ، وأخبار العنقاء ، وأخبار المطرف بن لوران ، وغير ذلك .

ثم إنى لما طالعت ذلك اتضح لى أن أكثره من تأليفات الوراقين ، وطلبت الأخبار الصحيحة ، فمالت نفسى إلى التواريخ ، فقرأت كتاب على بن مسكويه الذى سماه تجارب الأمم . وطالعت تاريخ الطبرى وغيرهما من التواريخ . وكانت تمر بى فى هذه التواريخ أخبار النبى صلى الله عليه وسلم وغزواته ، وما أظهر الله تعالى له من المعجزات ، وخصه به من الكرامات ، وحباه به من النصر والتأييد ، فى غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرهما ، وقصة منشئة فى اليتم والضعف ، ومعاداة أهله له ، و إقامته فيا بين أعدائه يجاهدهم بإنكار دينهم عليهم ، والدعوة إلى دينه مدة طويلة وسنين كثيرة . إلى أن أذن الله له فى الهجرة إلى دار غيرها . وما جرى للأعداء الذين جاهدوه من النكبات ومصرعهم بين يديه بسيوف أوليائه ببدر وغيرها . وظهور الآية العجيبة فى هزيمة الفرس ، ورستم الجبار معهم فى ألوف كثيرة ، فى غاية من الحشد والقوة ، بين يدى أصحاب سعد بن أبى وقاص ، وهم يسير على حالة شديدة من الضعف . ومدائن كسرى أنو شروان ، وانكسار الروم وهلاك عساكرهم على يدى أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه ، وخالد بن الوليد رضى الله عنه . ثم سياسة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وعدلهما وزهدهما .

ومع ذلك فإنى كنت لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتاب قد اكتسبت

بكثرة مطالبتى لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم قوة البلاغة ، ومعرفة بالفصاحة ، وكان لى فى ذلك طبع يحمده الفصحاء ، ويعجب به البلغاء — وقد يعلم ذلك منى من تأمل كلامى فى بعض الكتب التى ألفتها فى أحد الفنون العلمية — فشاهدت المعجزة التى لاتباريها الفصاحة الآدمية فى القرآن العظيم ، فعلمت صحة إعجازه .

ثم إنى لما هذبت خاطرى بالعلوم الرياضية ، ولا سيما الهندسية وبراهينها . راجعت نفسى فى اختلاف الناس فى الأديان والمذاهب ، وكان أكثر الحركات إلى البحث عن ذلك مطالعتى كتاب برزويه الطبيب من كتاب كليلة ودمنة وما وجدت فيه ، فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا . إذ لولا العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشايخ والسلف ، لما صدقناهم فى سائر مانقلنا عنهم . وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف ، وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل ، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب . وإذا نحن حكمنا العقل على مانقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته ، بل لمجرد كونه مأخوذاً عن السلف ، لكن من أجل أن يكون أمراً ذا حقيقة فى ذاته ، والحجة موجودة بصحته . فأما الأبوة السلفية وحدها فليست بحجة ، إذ لو كانت حجة لكانت أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار ، كالنصارى ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله ، وأنه الرازق ، المانع ، الضار .. فإن كان تقليد الآباء والأسلاف يدل على صحة ما ينقل عنهم ، فإن ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة المجوس . وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود خاصة دون غيرهم من الأمم ، فلا يقبل ذلك منهم ، إلا أن يأتوا بدليل على أن آباءهم وأسلافهم كانوا أعقل الأمم . فإذا ادعت اليهود ذلك فى حق آبائهم وأسلافهم ، فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم فى ذلك . وإذا تركنا التعصب لهم فنحن

نجعل لآبائهم أسوة بسائر آباء غيرهم من الأمم . فإذا كانت آباء النصارى وغيرهم قد نقلوا عن آبائهم الـكفر والضلال الذى تهرب العقول منه ، وتنفر الطباع السليمة عنه ، فليس بممتنع أن يكون ما نقله اليهود عن آبائهم أيضاً بهذه الصفة . فلما علمت أن اليهود لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أن ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر . وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، كوجوده لموسى عليه السـلام وعليهم أجمعين . فإن كان التواتر يفيد تصديقاً فالثلاثة صادقون ونبوتهم معاً صحيحة .

وعلمت أيضاً أنى لم أر موسى بعينى ولم أشاهد معجزاته ، ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السـلام ، ولولا النقل وتقايد الناقلين لما عرفنا شيئاً من ذلك . فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق واحد ويكذب واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام . لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل ، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم . فليس من العقل ولا من الحـكمة أن يصدق أحدهم ويـكذب الباقون ، بل الواجب عقلا أن يصدق الـكل أو بعض الـكل . فأما تـكذيب الـكل فإن العقل لا يوجبه أيضاً . لأنا إنما نجدهم أتوا بمـكارم الأخلاق ، وندبوا إلى الفضائل ، ونهوا عن الرذائل . ولأنا نجدهم قد ساسوا العالم سياسة بها صلاح حال أهله .

فصح عندى بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام وآمنت بها . فمـكثت برهة أعتقد ذلك من غير أن التزم الفرائض الإسلامية ، مراقبة لأبى . وذلك أنه كان شديد الحب لى ، قليل الصبر عنى ، كثير البرّ بى . وكان قد أحسن تربيتى ، إذ شغلنى منذ أول حداثتى بالعلوم البرهانية . وزين ذهنى وخاطرى فى الحساب والهندسـة المعادين اللذين مدح أفلاطون عقل من يتربى ذهنه فى النظر فيهما . فمـكثت مدة طويلة لا يفتح على وجهه الهـداية . ولا تحل

عنى هذه الشبهة وهى مراقبة أبى ، إلى أن حالت الأسفار بينى و بينه . ومدت دارى عن داره . وأنا مقيم على مراقبته والتزم من أن أفجعه بنفسى ، وحان وقت الهداية . وجاءتنى الموعظــــة الإلهية برؤيتى للنبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فى ليلة الجمعة تاسع ذى الحجة ســنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكان ذلك بالمراغة من آذربيجان .

وهنا ذكر المؤلف أنه رأى الرسول الأمين صلوات الله عليه ، و إن رؤياه هى سر سعادته والسبب فى اعتناقه للإسلام ولم أعثر على نص كامل لهذه الرؤيا .

هذا وللمؤلف المذكور مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة ، أشهرها : الطب . الرياضيات كالجبر والمقابلة والحساب والمثلثات ، وكان خبيراً بالجواهر والأحجار الـكريمة بكافة أنواعها ، وكان متقناً لعلوم أخرى كثيرة .

توفى رحمه الله بالمراغة من أعمال آذربيجان سنة ٥٧٠ هـ .

مقدمة

اليهود قوم يدعون أن لهم كتاباً مقدساً اسمه التوراة ، يؤمنون بكل ماجاء فيه ، وهم بشهادة هذا الكتاب نفسه قوم منافقون ، كذابون ، فاسقون ، عصاة ، زناة ، أغبياء ، عديموا الرأى ، وليس فيهم فطنة ، وأنهم عبدوا العجل والكباش المصنوعة من الذهب بفن وإتقان برعام بن نباط . وإليك جملاً مما تضمنته التوراة والكتب التى بين أيديهم من سيء ماانطوت عليه نفوس القوم من فساد فى العقائد ، وانحطاط فى الأخلاق ، واندماج فى الرذائل ، وكذب على الله والأنبياء . من ذلك :

١ — اليهود وافتراؤهم على الله سبحانه :

نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً : أنه ينام ، بقولهم : « انتبه لم تنام يارب استيقظ من رقدتك » ونسبوا إليه كذباً وبهتاناً أنه ندم على خلق البشر فى الأرض ، وأنه ندم أيضاً لأنه ملك شاول على إسرائيل ، ويقولون : يد الله مغلولة[1] . ويقولون : إن الله فقير ، ويقولون : العزير ابن الله . ويقولون : إن الله يطالع الشريعة اليهودية طبعاً فى الساعات الثلاث الأولى من النهار ، ويحكم فى الساعات الثلاث الثانية من النهار ، ويطعم العالم فى الساعات الثلاث الثالثة ، ويلعب مع الحوت ملك الأسماك فى الساعات الثلاث الرابعة ، ويقولون : إن الله يبكى ثلاثة أرباع الليل ويقول بصوت يشبه زئير الأسد : تباً لى لقد حرصت على خراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى ، ولم يلعب مع الحوت بعد خراب الهيكل[2] . ويقولون إن الله يتدارس علوم التلمود فى الليل مع اسمودا ملك الشياطين . ويقولون : إن الله ندم على تركه إسرائيل فى حالة

---

(١) القرآن (٢) التلمود .

التعاسة ، ومن شدة الندم يلطم ويبكى كل يوم فيسقط من عينه دمعتان فى البحر فتسمع دويهما فى كافة أنحاء الأرض وتضطرب المياه وترجف الأرض فتحدث الزلازل . ويقولون : إن الله عندما يغضب يستولى عليه الطيش والغضب ويقولون : عندما خلق الله الشياطين لم يكن لديه الوقت الكافى لخلق أجساد لهم أو ملابس . ويقولون : إن الله يستشير الحاخام على الأرض عندما توجد مسألة لايمكن حلها فى السماء .

تلك بعض اعتقاداتهم المارقة وأكاذيبهم على الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الإفك والبهتان ، وهى قليل من كثير وليس هنا مكان الإطالة .

٢ — *اليهود واليهود أنفسهم* :

يبدأ ذكر اليهود بعد ظهور إبراهيم الخليل الذى هاجر من العراق إلى فلسطين وولديه إسحاق وإسماعيل ومن ثم يعقوب الذى اشتهر باسم إسرائيل ، وفى عصر يعقوب هاجر اليهود إلى مصر بسبب غدر أولاد يعقوب بعضهم ببعض ، وسبب آخر وهو القحط والمجاعات التى حلت بهم فى فلسطين وفى مصر ظهرت عيوبهم الكثيرة وأهمها : خبائث نواياهم ومكر نفوسهم وسوء أفعالهم ، وبسبب ذلك استعبدهم الفراعنة وصدقت فيهم الحكمة القائلة . إن المكر السيء يحيق بأهله دائماً : وحال فرارهم من مصر إلى فلسطين سرقوا بأمر الأحبار كل ماوصلت إليه أيديهم مما خف حمله وغلا ثمنه .

وفى الفترة مابين إبراهيم وموسى ظهر أنبياء وهداة كثيرون فى هذه الطائفة ، إلا أن انتشار الفساد والخيانة والغدر والنفاق والكذب بينهم ، جعل حياة الأنبياء والمصلحين والهداة عرضة للطعن والتجريح والأذى والاتهام والقتل أحياناً وقد امتلأت كتبهم بذلك ، ونورد منه البعض على سبيل المثال .

من ذلك أن يعقوب الذى هو إسرائيل أو الأب الروحى لليهود فى كل زمان ومكان ، وهو من الأنبياء المعصومين فى نظر الإسلام ، هـذا النبى الأمين وصمته التوراة بأنه أبى أن يطعم أخاه عيسو العائد من السفر إلا بعد أن تنازل له عن ميراثه فى أبيه إسحاق ، ويزعمون أيضاً أن يعقوب أبوهم الروحى غشاش : حيث انتحل شخصية أخيه عيسو ليأخذ بركة أبيه إسحاق ، بعد أن كف بصره . ويقولون إن راحيل زوجة يعقوب سرقت أصنام أبيها ، وضبطها أخوها مع يعقوب . ويقولون : إن روبين بن يعقوب زنى بجارية أو زوجة أبيه ، بله . وهذه شهادة الأب فى أبنائه وهم صلحاء ومؤسسوا إسرائيل منذ نشأتها .

يقول يعقوب فى الإصحاح التاسع والأربعين : مخاطباً ابنه البكر رؤبين : أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فاضل فى الشرف فاضل فى العز ، فُرت كالماء ، لاتفُضل لأنك علوت مضجع أبيك وذنسته : ويقول فى ابنه شمعون وابنه لاوى : هما أخوان سيوفهما آلات جور . مجلسهما لاتدخله نفس ، وفى مجتمعهما لاتتحد ذاتى لأنهما فى سخطهما قتلا إنساناً ، وفى رضاهما عرقبا ثوراً . ويقول : إن بنيامين ذئب مفترس ، بالغداة يأكل غنيمته ، وبالعشية يقسم السلب . هذا يعقوب الأب الروحى لليهود وأبنائه بزعمهم . أما لوط الذى هرب من سخط الرب على قومه فقد اتهموه بجريمة الزنا بابنتيه ، والتى كان من أثرها فرعان من أكبر بطون بنى إسرائيل وهما الموآبيين والعمونيين ، وقد نسبوا جريمة الزنا إلى يهوذا بن يعقوب ولم يتركوا نبياً من أنبيائهم الكثيرون جداً إلا وألصقوا به تهمة أو عيباً فاحشاً يتحاشاه أى إنسان له ذرة واحدة من العقل .

هذا فضلا عن قتلهم لأكثر من سبعين نبياً بطرق وحشية فظيعة أقلها الذبح ، هذا بالنسبة للأنبياء . أما بالنسبة لهم كمجموعة وأفراد فلن تجد سفراً من أسفار كتبهم إلا وبه من مخازيهم الكثير والكثير جداً ، وأقلها وأبسطها جرماً

فى نظر القوم الزنا والخيانة والغدر والقتل . تلك هى طبيعة القوم قديماً وحديثاً .

٣ — اليهود والمسيحية :

بالرغم من أن التوراة الموسوية التى ضاعت معالمها مع ورثة هارون أخو موسى ، فقد استطاع الفريق الآخر وتمكن من تدوين توراة أخرى من بنات أفكار أحبار وعلماء ذلك الفريق ، وقد حاولوا جاهدين أن يجعلوها قريبة جداً من التوراة التى فقدت مع تابوت العهد وأضافوا إليها كل أفكارهم المسممة ، ورغباتهم المكبوتة . ولاشك فى أن التوراة التى فقدت كانت تحوى اعترافات صريحة تنبىء بمجىء السيد المسيح وظهوره ، وهو يتفق مع نصوص القرآن ، والقوم يعلمون علم اليقين أن المقصود : برجل سيعيد إنما هو السيد المسيح . ويعلمون أيضاً أن انقضاء ملك آل يهوذا إنما هو إشارة لبعث السيد المسيح ، غير أن القوم تجاهلوا هذه الإشارات ، وأنكروا ظلماً كل ماجاء فى التوراة دالاً على ظهور المسيح أو محمداً صلى الله عليه وسلم ، وذلك إنكاراً للحق وتمشياً مع الغايات الشخصية والأغراض النفسية لأحبارهم وكهانهم الذين حاكموا السيد المسيح بعد أن اتهموه بأبشع الاتهامات . ولما سئلوا عن معجزاته ، قالوا إنه عرف اسم الله الأعظم واستخدمه . وهل من المعقول أو هناك من يصدق أن ابن الزنا — كما يزعمون هم أنفسهم ألا ساء مايزعمون — يستطيع الوصول إلى معرفة اسم الله العظيم الأعظم ، اللهم إن هذا كذب وافتراء وبهتان عظيم .

وهكذا نال اليهود بزعمهم كل النيل من السيد المسيح حياً وميتاً . ففى حياته قبضوا عليه بإرشاد تلميذه اليهودى يهوذا الأسخريوطى الذى كان أسرع خائن قديماً وحديثاً ، وصلبوه كما زعموا بالرغم من وجود أتباع له كثيرون ، وانتهكت حرماته ومقدساته وآثاره بخيانة الكثير من الذين يرتدون لباس المسيحية ، وهم هم أشد عداوة للمسيح من يهوذا الأسخريوطى ألعن خائن عرفته البشرية ، وقد

مكنت لأولئك الخونة فى العصر الحديث ظروف خاصة جعلت منهم رؤساء وحكام على دول تدين بالمسيحية وياللأسف .

إن أمريكا وغيرها من الدول الكبرى يدينون بالمسيحية ، وقد كانت خيانة المسيح وتعاليم المسيح وتراث المسيح ميتاً من رؤساء هذه الدول ، وهم وللأسف يدينون بالمسيحية إسماً ، وباليهودية ديناً ، وبالصهونية عقيدة . فلا تعجب أيها القارىء الكريم لأنها الخيانة والغدر والمادة والأغراض اليهودية والرذيلة الممثلة فى الشهوات الجنسية . ولا يفوتنى أن أؤكد هذه السخائم بما فعله اليهود بالكونت برنادوت ممثل الأمم المتحدة وهو المسيحى وابن الدولة المسيحية ومندوب مجموعة الدول المسيحية ، فماذا فعل كل أولئك .

كما لا يفوتنى أن أؤكد هذا العار بذكر تمثيل اليهود بجنود بريطانيا العظمى ، نعم العظمى أو أكبر دولة تدين بالمسيحية فى عصرنا هذا ، نعم بريطانيا العظمى التى قام اليهود بصلب جنودها . وهى هى بريطانيا العظمى ، وكذا قام اليهود بجلد جنود بريطانيا العظمى .

وكان ذلك من أسباب جلاء بريطانيا العظمى عن فلسطين سنة ١٩٤٨ ووالله ورب المسيح والمسيحية لولا أن سدنة دولة بريطانيا العظمى من اليهود وخونة المسيح والمسيحية وأن الفاعلين من اليهود لسهل على بريطانيا الغير العظمى والمسيحية فقط ، مسح فلسطين بمن عليها انتقاماً لجنودها ودمهم المسفوح وشرفها المهان .

لكنها السيطرة اليهودية والتعصب البغيض ، وتمكن الصهيونية من القبض بيد فولاذية على بريطانيا العظمى شعباً وحكومة ، وأمريكا حكومة وشعباً ، وفرنسا وتركيا وإيران . الخ .

أما المسيح صلوات الله عليه ، فالله يرعاه ويرعى مقدساته وتراثه ومخلفاته ، وهو جل وعلا ولى المؤمنين .

٤ — اليهود والإسلام :

ما كاد الإسلام يتصل باليهود فى المدينة بعد هجرة النبى صلوات الله عليه حتى شعر أحبار اليهود وحكمائهم ودهاتهم بأن دولة باطلهم محكوم عليها بالمغيب والاندثار والضياع ، وأنه لزاماً عليهم إذا أرادوا بقاء دولتهم مقاومة الدعوة الجديدة بكل الوسائل لأنها تحمل إلى الشعوب قواعد بناءة تكفى لإصلاح البشرية فى كل زمان ومكان ، يحملها إلى الإنسانية بكافة شعوبها وأجناسها دون تمييز أو تفرقة ، النبى الذى بشرت به الأنبياء شعوبها من لدن آدم حتى ظهرت فى زمانها ومكانها بين الشعب العربى فى الوطن العربى ، على لسان النبى العربى محمد صلوات الله عليه .

لذلك حاول اليهود جاهدين وبكل ما أوتوا من قوة ووسائل ، يتعاون معهم كل الشياطين من إنس وجن ، محاولين وقف سير دعوة الإسلام أو هدمها إن أمكن . غير أن كل محاولاتهم هذه باءت بالفشل الذريع ، وذهبت أدراج الرياح ، كما ذهب القوم بما قدمت أيديهم من خيانة وغدر وكذب ونفاق الخ .

وبقى الإسلام يدعمه الحق والعدل والفضائل كلها ، غير أن أتباع الشياطين ورءوس الفساد لما يئسوا من النيل من هذا الدين القويم والدعوة الراشدة ، اتجهوا بما عرف عنهم من مكر وخداع بعد أن ارتدوا اسم الإسلام إلى شعوب المسلمين وهم حديثو عهد بالإسلام ، فبثوا بينهم بذور التفرقة العنصرية ، وعملوا على إذكاء الروح الجاهلية ومهدوا للشعوبية والدعوات الهدامة ، فتمكنوا من إشاعة الفتن والدسائس بين الناس . وقد تولى زعامة ذلك الفريق من اليهود كعب الأحبار الذى كان ثالث ثلاثة تآمروا على عمر بن الخطاب أعدل حاكم عرفه العالم فى كل أطواره فقتلوه ، وتمكنوا بذلك من تفرقة المسلمين وإشاعة الشكوك والريب حول قسم من التشريع الإسلامى ، فوضعوا الحديث ووضعوا

أسباب الخلافات المذهبية ، ونشروا مبادىء الزندقة . وهكذا تمكنوا من محاربة الإسلام والمسلمين بالوسائل الدنيئة والانحطاط الخلقى ، الذى ظهرت نتائجه بعد حين فى الشعوب الإسلامية ، وهى مبادىء هدامة تنحصر فى الفقر تحت ستار الزهد والتقشف والجهل والضلال وتحت ستار العلم اللدنى وعلم الحقيقة ، والذلة تحت ستار البعد عن الناس والكسل والخمول .

تلك هى اليهودية ودورها فى العالم الإسلامى قديماً ، أما اليوم فإن آثار تلك المبادىء لاتزال تنشر لواءها فوق ربوع العالم الإسلامى تحمل اسم الاستعمار . وقد وجد الاستعمار تعاوناً من زمرة من الحكام المسلمين ضعاف النفوس جهلاء لاحظ لهم من الحياة غير المظاهر الخداعة والعظمة الكاذبة ، يقدمون الطاعة والولاء للمستعمرين الخاضعين بدورهم للمال اليهودى والجمال اليهودى ، والنفوذ الصهيونى ، الذى استشرى وقويت شوكته ، وصار له سلطان ليس فى فلسطين المسكينة فحسب ، بل قد تغلغل وتمكن من السيطرة على دول كبرى . فأمريكا يسيطر عليها حكومة وشعباً شخصيات يهودية ، وبريطانيا كذلك وفرنسا أيضاً وألمانيا ودول أخرى ، وتتجمع تلك الشخصيات أو من ينوب عنها إلى مؤتمرات الصهيونية ، وهناك تقرر قرارات يعمل كل الأطراف فى جميع الدول بكل الوسائل على تنفيذها ، كلا بقدر اختصاصه الذى نيط به . وهكذا نرى أن الصهيونية هى التى فرقت الشعوب وأشعلت نار الحرب العالمية الأولى والثانية ، وهم يعملون جادين على إشعال نار الحرب الثالثة وأرجو أن لايستطيعوا .

٥ — اليهود والعالم :

ليس من أسباب تمكن اليهود من كل ماتقدم العلم أو القوة ، إنما السبب المباشر هو انتشارهم وتغلغلهم فى كل شعوب العالم ، مما ساعدهم على فهم الكثير من عادات وأخلاق الشعوب ، ومكنهم من دراسات الاتجاهات كلها نسائية

ومالية وأخلاقية وسياسية . وبسبب ذلك تمكنوا من السيطرة على الكثير من الشخصيات الحاكمة فى العالم ، ووسائلهم من أجل ذلك لاتتغير أبداً . فهى إتقان فنون الدعاية . وسائل وغايات واتجاهات . الاتجار بالحروب والأفكار المسممة كالتشهير والتفرقة والفضائح الشخصية ، وهم يبدؤن دائماً بالسيطرة على من ليسوا بيهود بكل الوسائل ، سواء كانت فكرية أو مادية أو جنسية أو فضائح شخصية ، فإذا ماتمت لهم السيطرة عملوا على خلق أجواء من التوتر والأزمات السياسية أو المالية أو الحربية ، وفق مصالحهم الخاصة وسياستهم العامة ، والضحية فى كل هذه الحالات الشعوب أو الأشخاص .

هكذا اليهود فى العالم قبل قيام دولتهم بحماية أعوانهم فى كل بلاد العالم عامة وفى بلاد العرب بصفة خاصة .

ولا شك فى أن قيام دولة إسرائيل أفسد كل صلة تربط اليهودى بالوطن الذى ولد أو عاش فيه أو يقيم فيه . فاليهودى الأمريكى صار حتما عليه أن يكون جاسوساً على أمريكا ، واليهودى الإنجليزى طابور خامس ضد بريطانيا لصالح دولة إسرائيل ، واليهودى الفرنسى طابور خامس أيضاً ، واليهودى الإفريقى طابور خامس فى إفريقيا ، واليهودى العربى طابور خامس فى بلاد العرب الخ .

وهكذا نرى مما تقدم أن قيام إسرائيل إنما هو فتنة عالمية أخلاقية ، أفسدت البقية الباقية من أخلاق اليهود إن كان لهم بقية خلقية ، وجعلت من اليهودى عدواً للبلد الذى ولد فيه وعاش فيه ، ونعم بخيراته ، بل أشعلت هذه الفتنة فى صدر كل يهودى نار الضغينة والحقد والبغضاء للآخرين .

إلا أننى أعتقد أن هذه النار لن ولن تحرق غير الصدور المنطوية عليها ، وإن فتنتهم لابد أن تزول ، بل يجب أن يزول كل مجرم من هذا العالم .

أرجو الله سبحانه جلت قدرته أن يجعل خلاص العالم من فتنتهم وشرورهم وآثامهم وجرائمهم ، على أيدى أمة العرب تحت لواء منقذها العظيم ، وحامل لواء عزتها وحامى حماها المؤيد من الله العلى القدير ، الرئيس جمال عبد الناصر .

المنصورة

محمد أحمد الشامى



لا إله إلا الله عدة للقاء الله

أما بعد حمد الله على ماألهم به من الهداية ، وعصم عنه من الغواية . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فإن سبيل من فضل من العباد بالفطانة والرشاد ، أن يجدّ فى البحث عن أحوال المعاد ، والتأمل لما أخذه عن الآباء والأجداد ، بعين الامتحان والانتقاد ، فإن رآه فضيلة سما لإدراكها ، وإن ألفاه رذيلة نجا من أشراكها ، لتضحى حقائبه بطاناً من الزاد ، فإن هاتف الموت لبالمرصاد ، وان تحمد العقبى لمضيع فى تحصين شرعه ، وموزع مواقيته على ماينقاد إليه بطبعه . ولن يظفر بضالة الحق إلا ناشدوها ، ولن يهدج الأباطيل على أنفسهم إلا معتقدوها .

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة : الرد على أهل اللجاج والعناد ، وأن يظهر مايغور كلمتهم من الفساد ، على أن الأئمة — ضوعف ثوابهم — قد انتدبوا لذلك ، وسلكوا فى مناظرتهم اليهود أنواع المسالك ، إلا أن أكثر مانوظروا به لايكادون يفهمونه أو لايلتزمونه . وقد جعل الله إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه فى أيديهم : من نص تنزيلهم ، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم ، ليكون حجة عليهم موجودة فى أيديهم . وهذا أول ماأبتدىء به من إلزامهم .

النسخ من نص كتابهم وما تقتضيه أصولهم :

أقول لهم : هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا ؟ فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثانى من السفر الأول من التوراة . إذ شرع الله على نوح عليه السلام القصاص فى القتل ، ذلك قوله تعالى :

نص التوراة : (شُوفَيخ دام ها أذم بَاذَام دامو ايِستَّافَيخ كَىْ يَصيْلَمْ أَلوهيم عاساً إت هاذَام) .

تفسيره : سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه . لأن الله تعالى خلق آدم بصورة شريفة .

وما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة . إذ شرع على إبراهيم ختان المولود فى اليوم الثامن من ميلاده . وهـذه وأمثالها شرائع ، لأن الشرع لايخرج عن كونه أمراً ونهياً من الله لعباده ، سواء نزل على لسان رسول ، أو كتب فى أسفار ، أو ألواح أو غير ذلك . فإذا أقروا بأنه قد كان شرع . قلنا لهم : ماتقولون فى التوراة ؟ هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا ؟ فإن قالوا : لا . فقد صارت عبثاً . إذ لازيادة فيها على ماتقدم ، ولم تغن شيئاً ، فلا يجوز أن تـكون صادرة عن الله . فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى . وذلك كفر على مذهبـكم .

وإن كانت التوراة أتت بزيادة ، فهل فى تلك الزيادة تحرم ما كان مباحاً أم لا ؟ فإن أنـكروا ذلك بطل قولهم من وجهين :

أحدها : أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية فى يوم السبت بعد أن كان مباحاً ، وهذا بعينه هو النسخ .

والثانى : أنه لامعنى لزيادة فى الشرع إلا تحريم ماتقدمت إباحته ، أو إباحة ماتقدم تحريمه .

فإن قالوا : إن الحـكيم لايحظر ، أى لايحرم شيئاً ، ثم يبيحه ، لأن ذلك إن جاز مثله كان كمن أمر بشىء وضده .

فالجواب : أن من أمر بشىء وضده فى زمانين مختلفين غير متناقض فى أوامره ، وإنما يـكون كذلك لو كان الأمران فى وقت واحد .

فإن قالوا : إن التوراة حظرت أموراً كانت مباحة من قبل ، ولم تأت بإباحة محظور ، والنسخ المكروه هو إباحة المحظور . لأن من أبيح له شيء فامتنع عنه وحظره على نفسه فليس بمخالف . وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه باستباحته المحظور .

فالجواب : أن من أحل ماحظره الشرع فى طبقة المحرم لما أحله الشرع . إذ كل منهما قد خالف المشروع . ولم يقرأ الكلمة على معاهدها . فإذا جاز أن يأتى شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه عن استباحته ، فجائز أن تأتى شريعة أخرى بتحليل ما كان فى التوراة محظوراً .

وأيضاً : فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضاً فى كل الأزمنة ، لأن الله سبحانه يكره ذلك المحظور لعينه . وإما أن لا يكرهه الله لعينه ، بل نهى عنه فى بعض الأزمنة . فإن كان الله نهى عن عمل الصناعات فى يوم السبت لعين السبت ، فينبغى أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضاً ، لأن عين السبت كانت أيضاً موجودة فى زمانهم وهى على التحريم . وإذا كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه فليس النهى عنه لعينه ، أعنى فى جميع أوقات وجود عينه ، وإذا لزمكم أن تحريم الصناعة فى يوم السبت ليس تحريماً فى جميع أوقات السبت ، فليس يمتنع أن ينسخ هذا التحريم فى زمن آخر . وإذا ظهر قائم بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة فى زمن آخر بعد فترة طويلة فجائز أن يأتى بنسخ كثير من أحكام الشريعة ، سواء حظر مباحاتها أو أباح محظوراتها . وكيف يجوز أن تحاج بالبينة باعتراض فيما ورد به من أمر ونهى ، سواء وافق العقول البشرية أو باينها ، ولا سيما أن الخصوم قد طالما تعبدوا بفرائض مباينة للعقول ، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التى كان الإمام الهارونى يحرقها قبيل أوان الحج ، ونجاسة ظاهرهم بذلك الرماد بعينه .

على أن الذى يروم تنزيله منزلة هذا أقرب كثيراً إلى العقل فإن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية .

وإذا كانت التعبدات الشرعية غير عائدة بنفع لله عز وجل ، ولا دافعة عنه ضرراً لتنزيهه سبحانه وتعالى عن الانتفاع والتأذى بشىء ، فما الذى يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشريعة ، ثم ينهى أمة أخرى عنها ، أو يحرم محظوراً على قوم ويحله لأولادهم ثم يحظره ثانياً على من يجىء بعدهم ؟ وكيف يجوز للمتعبد أن يعارض الرسول فى تحليله ما كان حراماً على قوم ، ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة ، وأوعب العقلاء تصديقه وتحكيمه ، أليس هذا تحكماً وضلالا ، وعدولا عن الحق ؟ .

إفحام اليهود والنصارى بالحجج العقلية وإلزامهم الإسلام :

لا يسع عاقلا أن يكذب نبياً ذا دعوة شائعة ، وكلمة قائمة ، ويصدق غيره . لأنه لم ير أحدهما ، ولا شاهد معجزاته . فإذا خص أحدهما بالتصديق ، والآخر بالتكذيب ، فقد تعين عليه الملام والإزراء عقلا . ولنضرب لذلك مثلا :

إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام ، وهل رآه وعاين معجزاته ؟ فهو بالضرورة يقر بأنه لم يشاهد شيئاً من ذلك عياناً .

فنقول له : بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه ؟ فإن قال : إن التواتر قد حقق ذلك ، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت فى العقل كما قد ثبت عقلا وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار .

قلنا : إن هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام ، كما هو موجود لموسى عليه السلام ، فيلزمك التصديق بهما .

وإن قال اليهودى : إن شهادة أبى عندى بنبوة موسى هى شبه تصديق بنبوته .

قلنا له : ولم كان أبوك عندك صادقاً فى ذلك ، معصوماً عن الـكذب ؟ وأنت ترى الـكفار أيضاً يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك إما تعصباً من أحدهم لدينه ، وكراهية لمباينة طائفته ، ومفارقة قومه وعشيرته ، و إما لأن أباه وأشياخه نقلوه إليه فتلقنه منهم ، معتقداً فيه الهداية والنجاة . فإذا كنت يا هذا قد ترى جميع المذاهب التى تـكفر بها قد أخذها أبناؤها عن آبائهم كأخذ مذهبك عن أبيك وكنت عالماً أن ما هم عليه ضلال وجهل . فيلزمك أن تبحث عما أخذته عن أبيك من أن تـكون هذه حالتك .

فإن قال : إن الذى أخذته عن أبى أصح مما أخذه الناس عن آبائهم . لزمه أن يقيم البرهان على نبوة موسى من غير تقليد لأبيه لأنه قد ادعى صحة ذلك بغير تقليد . وإن زعم أن العلة فى صحة ما نقله عن أبيه أنه رجح أباه على آباء الناس بالصدق والمعرفة كما يدعى اليهود فى حق آبائهم ، لزمه أن يأتى بالدليل على أن أباه أعقل من سائر آباء الناس ، وأفضل . فإن هو ادعى ذلك فقد كذب فيه ، لأن من ادعى مثل هـذا يجب أن يستدل على فضـائله بآثاره ،° وقول اليهود باطل . فإنهم ليس لهم من الآثار فى العالم ما ليس لغيرهم مثله ، بل هم على الحقيقة لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة ودونوها لمن يأتى بعدهم . وجميع ما نسب إليهم من العلوم مع ما استفادوه من علوم غيرهم لا يضاهى بعض الفنون الحـكمية التى استخرجها حكماء اليونان ، والعلوم التى استنبطها النبط . وأما تصانيف المسلمين فيستحيل لـكثرتها أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنفوه فى أحد الفنون العلمية لسعته وكثرته . وإذا كان هذا موقعهم من الأمم فقد بطل قولهم إن آباءهم أعقل الناس وأفضلهم وأحكمهم . ولهم أسوة بسائر آباء الناس المماثلين لهم من ولد سام بن نوح عليهما السلام .

فإذا أقروا بتأسى آبائهم بآباء غيرهم ، وقد علموا أن آباء غيرهم قد لقنوهم

الـكفر . لزمهم أن شهادة الآباء لا يجوز أن تـكون حجة في صحة الدين . فلا يبقى لهم حجة في نبوة موسى إلا شهادة التواتر ، وهـذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، كوجوده لموسى .

وإذا كانوا قد آمنوا بموسى لشهادة التواتر بنبوته ، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام .

وجه آخر في إثبات النسخ وأصولها :

نقول لهم : فهل أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام ؟ .

فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : أليس في التوراة « أن من مس عظماً ، أو وطىء قبراً ، أو حضر ميتاً عند موته ، فإنه يصير من النجاسة في حال لا طهارة له منها ، إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها » فلا يمكنهم مخالفة ذلك ، لأنه نص ما يتداولونه .

فنقول لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟ فيقولون : لا نقدر على ذلك .

فنقول لهم : فـكيف جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة وحمل المصحف ، والذي في كتابكم خلافه ؟

فإن قالوا : لأنا عدمنا أسباب الطهارة ، وهي رماد البقرة ، والإمام المطهر المستغفر .

قلنا : فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عنه مما تستغنون عنه في الطهارة أم لا ؟

فإن قالوا : نعم . قد نستغني عنه . فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها هذا الزمان .

وإن قالوا : لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور ، فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبداً ، ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة .

فنقول لهم : فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم ، فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام ، اعتزالا تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة الحائض لاستنجستموه مع ثوبه ؟

فإن قالوا : لأن ذلك من أحكام التوراة .

قلنا : أليس فى التوراة أن ذلك يراد به الطهارة ؟ فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم فإن النجاسة التى أنتم فيها على معتقدكم لا ترتفع بالغسل كنجاسة الحيض ، فهى كذلك أشد من نجاسة الحيض ، لما أنكم ترون أن الحائض طاهر إذا كانت من غير ملتكم ، ولا تستنجسون لامسها ، ولا الثوب الذى تلمسه ، وتخصيص الأمر ، أعنى نجاسة الحائض لطائفتكم مما ليس فى التوراة ، فهذا كله منكم نسخ أو تبديل .

فإن قالوا : إن هذا و إن كان النص غير ناطق به فقد جاء فى الفقه .

قلنا لهم : فما تقولون فى فقهائكم . هل الذى اختلفوا فيه من مسائل الخلاف والمذهب — على كثرتها لديكم — كان ثمرة اجتهاد واستدلال منقولا بعينه ؟ فهم يقولون : إن جميع ما فى كتب فقهنا نقله الفقهاء عن الأحبار عن الثقات من السلف ، عن يوشع بن نون عن موسى الكليم عليهما السلام عن الله تعالى . فيلزمكم فى هذه المسألة الواحدة التى اختلف فيها اثنان من فقهائكم أن يكون كل واحد منهما ينقل مذهبه فيها نقلا مستنداً إلى الله عز وجل . وفى ذلك من الشناعة اللازمة أن يجعلوا الله قد أمر فى تلك المسألة بشىء وخلافه وهو النسخ الذى يدفعونه بعينه .

فإن قالوا : إن الخلاف غير مستبعد ، لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم فى المذهب فى المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد هو المقطوع به .

قلنا : إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد إما لأن

أحدهم رجع عما نقل أو طعن فى نقله ، فيلزمه السقوط عن العدالة ، ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله ، وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين ، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر ، وما من الفقهاء إلا قد ألغى مذهبه فى مسائل كثيرة ، وهذا جنون ممن لا يقر بالنسخ[1] ، ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهاداً ونظراً ، بل نقلاً محضاً .

إلزامهم النسخ بوجه آخر :

نقول لهم : ما تقولون فى صلواتكم وصومكم ، هل هى التى فارقكم عليها موسى عليه السلام .

فإن قالوا : نعم . قلنا : فهل كان موسى وأمته يقولون فى صلاتهم كما تقولون : (تَقاع شُوفارْ كاذول لحيروا ثلتووسانيسْ لقبوصَيْنو وقصّلنو باحَدْ تِيارِهْ باع كَنْفوث ها ارصْ ال نَوَى قد شيخْا ياروح أنا أدوناى مقبيص ندحى عَمُّوا ياروح برائل) .

تفسيره : اللهم اضرب بطوق عظيم لعنقنا ، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك ، سبحانك ياجامع تشتيت قوم بنى إسرائيل .

أم هل كانوا على عهد موسى عليه السلام يقولون كما تقولون فى كل يوم : (هاشَيْب شُوفَطِينو كبارشيونا ويوعَصينو كَبْتِحِلا وبن أشير برشا لايم عِير قد شخا يحْيتوونا حمينو بلسنا ناياروخ أنا أدوناى بوى بروشا لايم) .

تفسيره : رد حكامنا كالأولين ، ومسراتنا كالابتداء ، وابن يروشليم قرية قدسك فى أيامنا وأعزنا ببنائها . سبحانك ياباني يروشليم .

---

(١) ليس كل ما تقدم نسخ وإنما هو تدرج فى التشريع طبقاً لما تقتضيه حاجة الإنسان وتطوره إلى أن اكتمل التشريع الإلهى حال اكتمال العقل البشرى والنضج الإنسانى بظهور محمد رسول الله ونزول القرآن الكريم الذى اشتمل على كل التشريعات التى سبقته بعد أن هذبها وجعلها صالحة لكل زمان وعصر .

أما هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة ؟

وأما صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كداليا الذى جعلتموه فرضاً ، هل كان موسى يصومها وأمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون ؟ أو صوم صلب هامان ، هل هـذه الأمور مفترضة بالتوراة ، أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها فى هذه الأعصار ؟

فإن قالوا : وكيف يلزمنا النسخ بهذه الآى . قلنا : لأن التوراة بهذه الآية نطقت ، وهى : (لوثوا سِيفوا عَلْ هدّا بارَا شِيرا نوضِى مُصَوّىْ أتْخِيم ولو تِغْر عَدْ مَمَّينو) .

تفسيره : لا تزيدوا على الأمر الذى أنا موصيكم به شيئاً ، وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية .

إثبات النسخ على وجه آخر :

نقول لهم : أليس عندكم إن الله اختار من بنى إسرائيل الأبكار ليكونوا خواصّ فى الخدمة للأقداس . فيقولون : بلى . فنقول لهم : أليس عندكم أيضاً أن موسى لما نزل من الجبل ومعه الألواح ووجد القوم عاكفين على العجل ، وقف بطرف العسكر ونادى : « من كان لله تعالى فليحضرنى » فانضم إليه بنو لاوى ولم ينضم إليه البكور ، على أن مناداته وإن كان لفظها يقتضى العموم لم يكن أشار بها إلا إلى البكور ، إذ هم خاصه الله يومئذ ، دون أولاد لاوى . فلما خذله البكور ونصره أولاد لاوى قال الله لموسى : (وَاأْقاح اث هَلْوِيم ثاحِث كل نِحُور بنى إسرائيل) .

تفسيره : وقد أخذت اللاويين عوضاً عن كل بكر فى بنى إسرائيل .

وفى عقيب نزول هذه الآية أليس إن الله عزل الأبكار عن ولاية

الاختصاص وأخذ أولاد لاوى عوضاً عنهم ؟ فهم لايقدرون على إنكار ذلك ... وهذا يلزمهم منه القول بالبدء أو النسخ .

إلزامهم نبوة المسيح صلى الله عليه وسلم:

نقول لهم : أليس فى التوراة التى فى أيديكم :

(لو باسنور شيبط منجهوزا ومحوقق ميّن دغلاو) .

تفسيره : لايزول الملك من آل يهود أو الراسم من بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح ، فلايقدرون على جحده .

فنقول لهم : أما علمتم أنكم أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم . فإن لم يكن لكم ملك فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل .

وأيضاً : فإنا نقول لهم : أليس منذ بعث المسيح عيسى عليه السلام استولت ملوك الروم على اليهود و بيت المقدس ، وانقضت دولهم ، وتفرق شملهم ؟ فلا يقدرون على جحد ذلك إلا بالبهتان ، و يلزمهم على أصلهم الذى فى التوراة : أن عيسى ابن مريم هو المسيح الذى ينتظرونه .

إلزامهم نبوته ونبوة المصطفى عليهما السلام :

نقول لهم : ماتقولون فى عيسى ابن مريم ؟

فيقولون : ولد يوسف النجار سفاحاً . كان قد عرف اسم الله الأعظم ، فاستخدم كثيراً من الأشياء[1] .

فنقول لهم : أليس عندكم فى أصح نقلكم : أن موسى عليه السلام قد أطلعه الله تعالى على الأسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً ، و به شق البحر ، وعمل المعجزات ؟ فلا يقدرون على إنكار ذلك .

---

(١) وكيف تمكن من معرفة اسم الله وهو ابن السفاح كما تزعمون ؟

فنقول لهم : فإذا كان موسى قد عمل المعجزات بأسماء الله تعالى ، فلم صدقتم نبوته وكذبتم نبوة عيسى ؟

فيقولون : لأن الله تعالى علم موسى الأسماء ، وعيسى لم يتعلمها من الوحى ، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس .

فنقول لهم : فإذا كان الأمر الذى يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ، ولا يريد تعليمه إياه . فبأى شىء جاز تصديق موسى ، فيقولون : لأنه أخذها عن ربه ؟

فنقول : و بأى شىء عرفتم أنه أخذها عن ربه ؟ فيقولون : بما تواتر من أخبار أسلافنا ؟

وأيضاً فإنا نلجئهم إلى نقل أسلافهم ، ونقول لهم : بماذا عرفتم نبوة موسى ؟ فإن قالوا : بما عمله من المعجزات . قلنا لهم : وهل فيكم من رأى هذه المعجزات ؟ أليس هـذا لعمرى طريقاً إلى تصديق النبوة ، لأن هـذا كان يلزمكم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم ، ليراها كل جيل بعد جيل ، فيؤمنوا به وليس ذلك بواجب ، لأنه إذا اشتهر النبى فى عصر ، وصحت نبوته فى ذلك العصر بالمعجزات التى ظهرت منه لأهل عصره ، ووصل خبره لأهل عصر آخر ، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه . لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها فى العقل . وموسى عليه السلام ومحمد وعيسى صلوات الله عليهم فى هذا الأمر متساوون .

ونقول : تواتر الشهادات بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام . لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ليست إلا بسبب أن كتابيهما يشهدان له بذلك ، فتصديقهم بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابيهما . وأما معجزات القرآن فإنها باقية ، و إذا كانت باقية

فتلك فضيلة زائدة لاتحتاج إلى كونها سبب الإيمان . فأما من أعطى ذوق الفصاحة فإن إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزات ، لامن اعتمد على الخبر ، إلا أن هذه درجة لم يرشح لها كل أحد .

فإن قالوا : إن نبينا يشهد له جميع الأمم ، فإن التواتر به أقوى ، فكيف تقولون إنه أضعف ؟ قلنا : كل اجتماع شهادات الأمم صحيح لديكم ؟ فإن قالوا : نعم . قلنا : فإن الأمم الذين قبلتم شهاداتهم مجتمعون على تكفيركم وتضليلكم . فيلزمكم ذلك ، لأن شهادتهم عندكم مقبولة .

فإن قالوا : لانقبل شهادة أحد . لم يبق لهم تواتر إلا من طائفتهم ، وهى أقل الطوائف عدداً . فيصير تواترهم وشرعهم لذلك أضعف الشرائع . ويلزمهم مما تقدم أن كل من أظهر معجزات شهد بها التواتر مصدق فى مقالته ويلزمهم من ذلك : التصديق بنبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام .

فصل فيما يحكونه من عيسى عليه السلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء ، وأنه كان يطبب المرضى بالأدوية ، ويوهمهم أن الانتفاع المُنال حصل لهم بدعائه . وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم في يوم السبت فأنكرت عليه اليهود ذلك ، فقال لهم : أخبروني عن الشاة من الغنم : إن وقعت في البئر يوم السبت ، أما تنزلون إليها وتحلون السبت لتخليصها ؟ قالوا : بلى . قال : فلماذا أحللتم السبت لتخليص الغنم ، ولا تحلونه لتخليص الإنسان الذى هو أكبر حرمة من الغنم ؟ فأفحمهم ولم يؤمنوا .

وأيضاً ، فإنهم يحكون عنه : أنه كان مع جماعة من تلاميذه في جبل ، ولم يحضرهم الطعام . فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت . فقال لهم أرأيتم لو أن أحدكم كان وحيداً مع قوم على غير ملته ، وأمروه بقطع النبات في يوم السبت وإلقائه لدوابهم ألستم تجيزون له قطع النبات ؟ قالوا : بلى . قال فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات ليأكلوه لينقذوا به أنفسهم ، لا للطعن في أمر السبت . كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التى لا ينطبع فيها النسخ .

لئن كان كل ما يحكونه من ذلك صحيحاً ، فلعله كان في ابتداء أمر المسيح عليه السلام .

ذكر الآيات والعلامات :

التى في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثانى من السفر الخامس من التوراة :

(لاهيم وهى تابى اقيم مقارب احيحيم كاموخا ابلا وشياعون) .

تفسيره : نبياً أقيم لهم لاهيم من وسط إخوتهم مثلك به فليؤمنوا .

وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فإن قالوا : إنه قال : من وسط إخوتهم ، وليس فى عادة كتابنا أنه يعنى بقوله « إخوتهم » إلا بنى إسرائيل .

قلنا : بلى ، قد جاء فى التوراة « إخوتهم » لبنى العيص . وذلك فى الجزء الأول من السفر الخامس وهو قوله :

(ايم عوبريم بقبول احيحيم بنى عيسى وهيوشيم بسيعير) .

تفسيره : أنتم عابرون فى تخثم إخوتكم بنى العيص المقيمين فى سيعير ، إياكم أن تطمعوا فى شىء من أرضهم .

فإذا كان بنو العيص إخوة لبنى إسرائيل ، لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم .

وإن قالوا : إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائيل النبى عليه السلام . لأنه قال « من وسط إخوتهم مثلك » وشموائيل كان مثل موسى لأنه من أولاد لاوى ، يعنون من السبط الذى كان منه موسى عليه السلام .

قلنا لهم : فإن كنتم صادقين فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بشموائيل ، وأنتم تقولون : إن شموائيل لم يأت بزيادة ولا نسخ ؟ أشفق من أن لاتقبلوه : لأنه إنما أرسل ليقوى أيديكم على أهل فلسطين ، وليردكم إلى شرع التوراة . وبين صفته ؟ فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان ، به لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ، ويغير أوضاع ديانتكم ، فالوصية بالإيمان به مما لايستغنى مثلكم عنه . ولذلك لم يكن بموسى حاجة إلى أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء .

وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم فى هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى واتباعه صلى الله عليه وسلم .

الإشارة إلى اسمه صلى الله عليه وسلم فى التوراة :

قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة ، مخاطباً لإبراهيم الخليل عليه السلام : « وأما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك ، قد باركت فيه وأثمره وأكثره جداً جداً » .

ذلك قوله (وليشماعيل شمعتيخا هنى بيراختى اوثووهفريتى اوثو وهربيثى بمادماد) .

فهذه الكلمة « بمادماد » إذا عددنا حساب حروفها بالجمل وجدناه اثنين وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف « محمد » صلى الله عليه وسلم . فإنه أيضاً اثنان وتسعون . وإنما جعل ذلك فى هذا الموضع ملغزاً . لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة . كما عملوا فى غير ذلك .

فإن قالوا : إنما يوجد فى التوراة عدة كلمات مما يكون حساب حروفه متساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد ، وعمرو ، وخالد ، فيكونون أنبياء ؟

فالجواب : أن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة ، لكنا نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها فى سائر التوراة . وذلك أنه ليس فى التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية . لأنها وعد من الله تعالى لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل ، وليس فى التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر ، كما أنه ليس فى هذه الآية كلمة تساوى « بماد ماد » التى معناها « جداً جداً » وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى ، فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة . وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة فى حق إسماعيل وأولاده ، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية ،

فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفاً ، وأعظمهم قدراً محمد صلى الله عليه وسلم .

وإذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم .

ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى :

نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام وهو :

(وامار ادوناى اتكلى وريفور يماريه سيعير انجرى لانا استخى بعبوريته على طوردفاران وعمه ربوان قد يشيز) .

تفسيره : قال الله تعالى « من سيناء تجلى ، وأشرق نوره من سيعير ، واطلع من جبال فاران ، ومعه ربوات المقدسين » .

وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص الذين آمنوا بالمسيح عيسى عليه السلام . بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام . وهم يعلمون أن سيناء هو جبل الطور ، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة . وفى الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الأمر باتباع مقالتهم .

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة : فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليهما السلام سكن إسماعيل فى برية فاران ، ونطقت التوراة بذلك فى قوله :

(و بيشب بمديارفاران وتقاح لواموا أشامثا يرص مصرايم) .

تفسيره : وأقام فى برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر .

فقد ثبت من التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل . وإذا كانت التوراة قد أشارت فى الآية التى تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم

أن تلك النبوة على آل إسماعيل ، لأنهم سكان فاران . وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه بعث من مكة التى كان فيها مقام إبراهيم و إسماعيل . فدل ذلك على أن جبال فاران هى جبال مكة ، وأن التوراة أشارت فى هذه المواضع إلى نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم و بشرت به ، إلا أن اليهود — لجهلهم وضلالهم — لايجوزون الجمع بين هاتين العبارتين من الآيتين ، بل يسلمون بالمقدمتين ويجحدون النتيجة ، لفرط جهلهم . وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأى . ذلك قوله تعالى : (كى غوى أو باذ عيصون هيا وابن باهيم تسونا) .

تفسيره : إنهم لشعب عادم الرأى ، وليس فيهم فطانة .

فى إبطال مايدعونه من محبة الله تعالى إياهم :

هم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يحبهم دون جميع الناس ، ويحب طائفتهم وسلالتهم ، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله تعالى إلا منهم ، ونحن نناظرهم على ذلك . .

فنقول لهم : ما قولكم فى أيوب النبى عليه السلام ؟ أتقرون بنبوته ؟ فيقولون : نعم .

فنقول لهم : ماتقولون فى جمهور بنى إسرائيل ، أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم يرعام بن نباط الذى خرج على ولد سليمان بن داود ، ووضع لهم الكبشين من الذهب وعكف على عبادتهم جماعة من بنى إسرائيل وأهل جميع ولاية دار ملكهم الملقب يومئذ شورمون ، إلى أن جرت الحرب بينهم و بين السبطين والنصف الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان ببيت المقدس ، وقتل معهم فى معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان . فما تقولون فى أولئك القتلى بأسرهم ، وفى التسعة أسباط ونصف ، هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون ؟

فيقولون : لا ، لأنهم كفار .

فنقول لهم : أليس عندكم فى التوراة ، أنه لافرق بين الدخيل فى دينكم وبين الصريح النسب منكم ؟ فيقولون : بلى ، لأن التوراة ناطقة بهذا :

(ككيركا از راخ كاخيم بيهى لق أدوناى) .

تفسيره : إن الأجنبى والصريح النسب سواء بينكم عند الله .

(توراحات ومتنفاط ايحاد يهى لاخيم ولكيرهكار بثوحخيم) .

تفسيره : شريعة واحدة وحكم واحد يكن لكم وللغريب الساكن فيما بينكم .

وبهذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم ويحب المؤمنين من غير طائفتهم ، ويتخذ أولياءه وأنبياءه من غير سلالتهم ، فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى لطائفتهم من بين المخلوقين .

فصل فى ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم

إن سبيل ذوى التحصيل أن يجتنبوا الرذائل ، وينفروا مما قبح فى العقول السليمة ، ورجح زيفه عند الأفهام المستقيمة . ولهذه الطائفة من الفنون الضلالية والاختلال ماتنبو عن مثله العقول ، ويخالفه المشروع والمعقول .

فمن ذلك : أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود عليهم ، يقولون كل يوم فى صلواتهم : إنهم أبناء الله وأحباؤه ، وذلك قولهم كل يوم فى الصلاة :

(اهباث عولام اهبثانو أدوناى الوهينو) .

تفسيره : الدهر أجبتنا يا إلهنا .

(هثبيوا بينو التوراثخينا) .

تفسيره : ارددنا يا أبانا إلى شريعتك .

(أبينوا ملكينو الوهينو) .

تفسيره : يا أبانا ياملكنا يا إلهنا .

(أنا أدوناى أبينوا كوالينوا) .

تفسيره : أنت اللهم أبونا منقذنا .

(وايث كل رود فى يانخا واويبى عدا شخا كوا لام كساموا أيام إيحاد ميهم لونوا أثار) .

تفسيره : وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك واعداً جماعتك كلهم عبروا البحر واحد منهم لم يبق .

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب ، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالى حيطان الكرم . وهذا من قلة عقولهم ونظرهم ، فإن المعتنى بمصالح الكرم إنما يجعل على حيطانه الشوك حفظاً وحياطة للكرم . ولسنا نرى لليهود من بقية الأمم إلا الضرر

والذل والصغار ، وذلك مبطل لقولهم . وينتظرون قائماً يأتيهم من نسل داود ، إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذى وعدوا به . وقد كان الأنبياء عليهم السلام ضربوا لهم أمثالا أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح عليه السلام وخضوع الجبارين لأهل ملته وإتيانه بالنسخ العظيم .

فمن ذلك قول شعيا فى نبوته :

(وغارزائب عم كبيش يحذا ويربضوا شنيهم وفارا واذوب ترعينا وارياء كبا قارابوخل تبين) .

تفسيره : أن الذئب والكبش يرعيان جميعاً ويربضان معاً ، وأن البقرة والدب يرعيان جميعاً ، وأن الأسد يأكل التبن كالبقرة .

فلم يفهموا من تلك الأمثال إلا صورها الحسية دون معانيها العقلية ، فتأولوها على الإيمان بالمسيح عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون الأسد يأكل التبن ، وتصح لهم حينئذ العلائم بمبعث المسيح .

ويعتقدون أيضاً أن هـذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من سواهم ، فيحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة . وسبيلهم أن يعولوا على متابعة الأسود فى غاباتها ، وطرح التبن بين أيديها ، ليعلموا وقت أكلها إياه .

وأيضاً ، إنهم فى العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة ، يقولون فى صلاتهم :

(الوهيبود الوهى ايوثينو ملوخ على كل يوشىء تبيل ارصيحا ويومار كول اشبرنشا ماباقو أدوناى الوهى يسرائيل مالاخ وملخوثو ايلول ماشالا) .

تفسيره : يا إلهنا وإله آبائنا املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى

نسمة الله إله إسرائيل قد ملك ومملكته فى الكل متسلطنة .

و يقولون فى هذه الصلوات أيضاً : وسيكون لله الملك وفى ذلك اليوم يكون الله واحد . ويعنون بذلك أنه لايظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته . فأما مادامت الدولة لغير اليهود فإن الله خامل الذكر عند الأمم ، وأنه مطعون فى ملكه ، مشكوك فى قدرته . فهذا معنى قولهم : اللهم أملك على جميع أهل الأرض ومعنى قولهم : وسيكون الملك لله .

ومما ينخرط فى هذا السلك قولهم :

(لا مايومر وهو كو ييم إلى أنا الوهيم) .

تفسيره : لم تقول الأمم أين إلههم ؟

(وقولهم عور إلاما يثشنان ادوناى هاقيصا مشاثيخا) .

تفسيره : انتبه ، لم تنام يارب ؟ استيقظ من رقدتك ؟ .

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار ، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعداً ، فأوقعهم ذلك فى الطيش والضجر ، وأخرجهم إلى نوع من الزندقة والهذيان الذى لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة . فتجرؤا على الله بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخون الله بذلك لينخى لهم ويحمى لنفسه ، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه و ينخونه للنباهة واشتهار الصيت ، فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات فى الصلاة يقشعر جلده ، ولا يشك فى أن كلماته تقع عند الله تعالى بموقع عظيم ، و إنه يؤثر فى ربه ، ويحركه بذلك ، ويهزه و ينخيه . وهؤلاء على الحقيقة ينبغى أن يرحم جهلهم وضعف عقولهم .

وأيضاً ، فإن عندهم فى توراتهم : أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة ، وتحت رجليه كرسى منظره كمنظر البللور ، ذلك قوله :

(وتراءى ويث الوهى يسرائيل وثاحث رعلاى كراى كبغثاث هشيفير وخعيصم هشامايم لاطوهره) .

ويزعمون أن اللوحين مكتوبين بأصبع الله ، ذلك قولهم (بأصباع الوهيم) ويطول الكتاب إن عددنا ماعندهم من كفريات التجسيم ، على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيراً عن معتقد آبائهم بما استفادوه من عندهم ، بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم ، ما تقتضيه الألفاظ التى فسروها ونقلوها ، وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح استتروا بالجحد والبهتان ، خوفاً من فظيع مايلزمهم من الشناعة .

ومن ذلك : أنهم ينسبون الله تعالى إلى الندم على مايفعل .

فمن ذلك قولهم فى التوراة التى فى أيديهم :

(ويناجم أدوناى كى عاسا اث اذام أرض ويتعصب ال لبُّو) .

تفسيره : وندم الله على خلق البشر فى الأرض وشق عليه .

وقد أفرط المترجم فى تعصبه وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة ، وفسر (ويناجم أدوناى وناب أدوناى تيمريه) يعنى : غار الله فى رأيه .

وهذا التأويل أيضاً وإن كان غير موافق اللغة فهو أيضاً كفر ، مناقض لما يدفعونه من البدء والنسخ .

وأما الدليل على تفسيره (و بتعصيب ال لبوه) وشق عليه . فهو ماجاء فى مخاطبة حواء (بتعصيب تيلدى بانيم) .

تفسيره : بمشقة تلدين الأولاد .

فقد تبين أن « العصيب » عندهم فى اللسان العبرانى : هو المشقة .. وهذه الآية عندهم فى قوم نوح ، زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح ، وأن شرهم وكفرهم قد عظم ندم على خلق البشر وشق عليه . ولا يعلم البله أن من يقول

بهذه المقالة يلزمه أن الله كان قبل أن يخلق البشر لم يكن عالماً مما سيكون من قوم نوح وغير ذلك من النقص تعالى الله عما يـكفرون .

وعندهم : أن الله تعالى قال لشموائيل النبي عليه السلام (ات أول لمبلخ على يسرائيل) .

تفسيره : ندمت إذ وليت شاءول على يسرائيل .

وفى موضع آخر من سفر شموائيل (وادوناى نحام كى همليح اث شاءول على يسرائيل) .

تفسيره : والله ندم على تمليكه شاول على إسرائيل .

وأيضاً فإن عندهم فى كتابهم أن نوحاً النبى عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه قرابين . ويتلو ذلك (ويارح ادوناى ايث ريخ هينحمورح ويومزادوناى ال لبو اوسيف عود لقليل اث لهاذا ماياميور هاادام كى يبصر كيب هاادام راغ منعورا وولو اوسيف عوز لهـكوث اث كل حاى طااشير عاسيثى) .

تفسيره : فاستنشق الله تعالى رائحة القتار . فقال الله تعالى ، فى ذاته : لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشرى مطبوع على الردة . ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان كما صنعت .

ولسنا نرى أن هذه الـكفريات كانت فى التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ! . ولا نقول أيضاً : إن اليهود قصدوا تغييرها و إفسادها بل الحق أولى ما اتبع . ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة .

ذكر السبب فى تبديل التوراة :

علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى ألبتة . لأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم

يبثها فيهم . وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ودليل ذلك قول التوراة :

(ويختوب موسى اث هتودهزوث وتيفاه الهكوهيم بنى ليوى)

تفسيره : وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بنى لاوى وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم . لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم .. ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها ازينوا) فإن هذه السورة من التوراة هى التى علمها موسى لبنى إسرائيل . وذلك قوله :

(ويختوب موسى اث هثيرا هزرث ويلمذاه لبنى يسرائيل)

تفسيره : وكتب موسى هذه السورة وعلمها بنى إسرائيل .

وأيضاً ، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(وها يثالى هشيراهزوث لعيد بنى يسرائيل)

تفسيره : وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى إسرائيل .

وأيضاً ، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(كى لو نشا خاخ مفى زرعوا)

تفسيره : لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم . يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم ، وأنهم يخالفون شرائع التوراة ، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك ويخرب ديارهم ويشتتون فى البلاد . قال : فهذه السورة تكون متداولة فى أفواههم كالشاهد عليهم ، والموافق لهم على صحة ما قيل لهم . فهذه السورة لما قال الله عنها : أنها لا تنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن غيرها من السور تنسى .

وأيضاً ، فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة . فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم ، وصانها

عن سواهم . وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصر على دم واحد ، يوم فتح بيت المقدس . ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة . فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى فى أيديهم . ولذلك بالغوا فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة . وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذى عند البطائح بالعراق . لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم . فهذه التوراة التى فى أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا . وليست كتاب الله . وهذا يدل على أنه — أعنى الذى جمع هذه الفصول التى بأيديهم — رجل فارغ ، جاهل بالصفات الإلهية . فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم ، والندم على ما مضى من أفعاله ، والإقلاع عن مثلها ، وغير ذلك مما تقدم ذكره .

وأيضاً : فمما يستدل به على بطلان تأويلاتهم وإفراطهم فى التعصب ، وتشديد الأمر ، ما ذكره فى هذه الآية :

(ريشيب بكورى إذ ماثخا تابى بيث ادوناى الوهينى لوتبثيل كذى باحليب أمو) .

تفسيره : بكور ثمار أرضك تحمل إلى بيت الله ربك ، لاينضج الجدى بلبن أمه .

والمراد من ذلك : أنهم أمروا عقيب افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا معهم إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم ، وأبكار مستغلات أرضهم . لأنه قد فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخول البقر والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام . ومن اليوم الثامن فصاعداً تصلح أن تكون قرباناً لله . فأشار فى هذه الآية فى

قوله (لاينضج الجدى بلبن أمه) إلى أنهم لايبالغون فى إطالة مكث بكور أولاد البقر والغنم وراء أمهاتها . يستصحبون أبكارها اللاتى قد عبرت سبعة أيام من ميلادها معهم إذا حجوا إلى البيت المقدس ليتخذوا منها القرابين .

فتوهم المشايخ البله المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها : أن المشرع يريد بالإنضاج هاهنا إنضاج الطبيخ فى القدر. وهبهم صادقين فى هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل ، إذ لو أراد المشرع تحريم الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك .

وما كفاهم هذا الغلط فى تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحمان باللبن ، وهذا مضاف إلى مايستدل به على جهل المفسرين والنقلة ، وكذبهم على الله تعالى ، وتشديد الأكل على طائفتهم .

فأما الدليل على تفسيره « تبل » الإنضاج ، الذى هو البلوغ فهو : قول رئيس السعاة ليوسف الصديق ، وهو فى السجن ، إذ شرح له رؤياه ، فقال فى جملة كلامه :

(وبكيفَّنْ شلوشا سارنعيم وهى خفورأحب عالشا نصاه هلبشيَّلوا اثيها غنايم) .

تفسيره : وفى الكرمة ثلاثة عناقيد . وهى كأنها قد أثمرت وصعد نورها ، ونضجت عناقيدها عنباً .

فقد تبين أن الإنضاج الذى يعبر عنه (بالهيشيلو) إنما هو البلوغ .

ولاينبغى للعاقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال واتفاقهم على فنونهم من الكفر والضلال ، فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها ، وأخذها بلادها ، انطمست حقائق سالف أخبارها ، واندرس قديم آثارها ، وتعذر الوقوف عليها ؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمضايقات وإخراب البلاد وإحراق بعضها ، فلا تزال هذه الفنون متتابعة إلى

أن تستحيل علومها جهلا وآثارها تلالا ، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال ، كان حظها من اندراس الآثار أكثر ، وهذه الطائفة بلاشك أعظم الطوائف حظاً مما ذكرنا لأنها من أقدم الأمم عهداً ، ولكثرة الأمم التى استولت عليها ، مثل الكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام . وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد ، وطلب استئصالهم ، وبالغ فى إحراق بلادهم وإخرابها وإحراق كتبهم إلا المسلمين ، فإن الإسلام صادق اليهود تحت ذمة الفرس ، ولم يبق لهم مدينة ولاجيش إلا العرب المتهودة بخيبر . وأشد على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم العصاة مثل أجابوا خربا وأمصيا وبهورام وبرعام بن نباط وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا فى تطلبهم ليقتلوهم ، وعبدوا الأصنام ، وأحضروا من البلاد سدنة الأصنام لتعظيمها وتعليم رسوم عبادتها وابتنوا لها البيع والهيا كل ، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بنى إسرائيل ، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصاراً متصلة .

فإذا كان هذا تواتر الآفات عليهم من قبل ملوكهم ومن أنفسهم ، فما ظنك بالآفات المتفننة التى تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد ، وقتلهم أئمتهم ، وإحراقهم كتبهم ، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم ، فإن الفرس كثيراً مامنعوهم عن الختان وكثيراً ما منعوهم عن الصلاة ، لمعرفتهم بأن معظم صلوات هذه الطائفة دعاء على الأمم بالبوار وعلى العالم بالخراب ، سوى بلادهم التى هى أرض كنعان .

فلما رأت اليهود الجد من الفرس فى منعهم من الصلاة اخترعوا أدعية زعموا أنها فصول من صلاتهم وسموها الخزانة ، وصاغوا لها ألحاناً عذيدة ، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها .

والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن وأن المصلى يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره ، وأما الخزانة فيشاركه جماعة فى الجهر بالخزانة ويعاونونه فى الألحان . وكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم زعمت اليهود أنهم يغنون أحياناً وينوحون أحياناً على أنفسهم فتركوهم وذاك .

ومن العجب أن دولة الإسلام لما جاءت مقرة لأهل الذمة على دياناتها ، وصارت الصلاة مباحة لهم ، صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة فى الأعياد والمواسم والأفراح ، يجعلونها عوضاً عن الصلاة ، ويستغنون بها عنها ، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك .

فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام .

هم يزعمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان قد رأى أحلاماً تدل على أنه صاحب دولة ، وأنه سافر إلى الشام فى تجارة لخديجة رضى الله عنها واجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه ، فعلموا أنه صاحب دولة ، زعموا . فأصحبوه عبد الله بن سلام ، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة ، زعموا . وأفرطوا فى دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التى فى القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام ، وأنه قرر فى شرع النكاح : أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثلاث إلا بنكاح رجل آخر ليجعل بزعمهم أولاد المسلمين (ممزريم) وهذه كلمة جمع واحده (ممزير) وهو اسم لولد الزنا ، لأن فى شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كان أولادهما معدودين فى أولاد الزنى . فلما كان النسخ مما لاينطبع فى عقولهم فهمه ذهبوا إلى أن الحكم فى شرع النكاح من موضوعات عبد الله بن سلام ، قصد به أن يجعل أولاد المسلمين (ممزريم) بزعمهم .

ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبى عليه السلام (ممزير) من وجهين ، وجعلوا منتظرهم (ممزير) من وجهين وذلك أنهم لايشكون فى أن داود ابن نيساى بن عابد ، وأبو هذا عابد يقال له «بوعز» من سبط يهوذا . وأمه يقال لها روث المؤابية من بنى مؤاب . وهذا مؤاب منسوب عندهم فى نص التوراة فى هذه القصة . وهو أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها . ونجا بابنتيه فقط ، خالتا : أى ظن ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يتقين منه نسلا . فقالت الكبرى للصغرى : إن أبانا لشيخ ، وإنسان لم يبق فى الأرض . فهلمى بنا نسقى أبانا خمراً ونضاجعه ، لنبتغى من أبينا نسلا . ففعلتا ذلك بزعمهم . وجعلوا ذلك النبى قد شرب الخمر حتى سكر ، ولم يعرف ابنتيه ، ووطئهما فأحبلهما وهو لايعرفهما ، فولدت إحداهما ولداً سمته « مواب » يعنى أنه من الأب ، والثانية سمت ولدها بنى عمو ، يعنى

أنه من قبلهما . ولذلك أن الولد عند اليهود من (الممزريم) ضرورة ، لأنهما من الأب وابنته . فإن أنكروا ذلك لأن التوراة لم تكن نزلت لزمهم ذلك، لأن عندهم أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما خاف فى ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته أخفى نكاحها وقال «هى أختى» علماً منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليها سبيل ، وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت كان فى ذلك الزمان مشروعاً ، فما ظنك بنكاح البنت الذي لايجوز ولا فى زمن آدم عليه السلام .

وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبى فى التوراة الموجود فى أيدى اليهود ، فلن يقدروا على جحدها . فليزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط (ممزريم) إذ توليدهما على خلاف المشروع . وإذا كانت « الوث » وهى من ولد مواب ، وهى جدة داود عليه السلام وجدة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوهما جميعاً من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .

وأيضاً : فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة قد سقى الخمر حتى سكر سكراً حال بينه وبين معرفته ابنتيه ، فضاجعته إحداهما واستنزلت منيه ، وقامت عنه وهو لايشعر ، كما قد نطق كتابهم فى قوله :

(ولو باداع بشنخباه و يقوماه) .

تفسيره : ولم يشعر باضجاعها و بقيامها . وهذا حديث من لا يعرف الحبل ، لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن فى السن قد غاب عن حسه لفرط سكره .

ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت به كذلك فى الليلة الثانية ، فعلقت أيضاً . وهذا ممتنع من المشايخ الكبار أن تعلق المرأة من أحدهم فى ليلة وتعلق منه أيضاً الأخرى فى الليلة الثانية ، إلا أن العداوة التى

مازالت بين بنى عمو ومواب وبين بنى إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ليكون أعظم الأخبار فحشاً فى حق بنى عمو ومواب .

وأيضاً فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة فى الهارونيين ، فلما ولى طالوت ، وثقلت وطأته على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر إلى داود ، بقى فى نفوس الهارونيين التشوف إلى الأمر الذى زال عنهم . وكان عزرا خادماً لملك القدس حظياً عنده ، فتوسط إلى بناء بيت المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم . فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داودى ، فأضاف إلى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود ، أحدهما قصة بنات لوط . والأخرى قصة تامان ، وسيأتى ذكرها .

ولقد بلغ لعمرى غرضه . فإن الدولة الثانية التى كانت بنت لهم بيت المقدس لم يتملك عليهم فيها داوديون ، بل كان ملوكهم هارونيون ، هذا عزرا ليس هو العزير كما يظن ، لأن العزير هو تعريب العازار فأما عزرا فإنه إذا عوب لم يتغير عن حاله . لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ولأن عزراً عندهم ليس بنبى وإنما يسمون عزره (هسوفير) وتفسيره : الناسخ .

وأيضاً : فإن عندهم فى التوراة قصة أعجب من هذه . وهى أن يهوذا بن يعقوب النبى عليه السلام زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها تامان ، وكان يأتيها مدبراً ، فغضب الله تعالى من فعله ، فأماته . فزوجها يهوذا من ولده الآخر . فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض ، علماً منه بأنه إن أولدها كان أول الأولاد باسم أخيه ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأماته أيضاً . فأمرها يهوذا باللحاق بأهلها إلى أن يكبر سبلا ولده ، ويتم عقله ، حذراً أن يصيبه ما أصاب أخويه . فأقامت فى بيت أبيها فماتت بعد زوجة يهوذا وأصعد إلى منزل يقال له تمنات ، ليجز غنمه . فلما أخبرت تامار

بإصعاد حميها إلى تمناث لبست زى الزوانى وجلست فى مستشرف على طريقه لعلمها بشيمته . فلما مر بها خالها زانية ، فراودها ، فطالبته بالأجرة فوعدها بجدى . ورهن عندها عصاه وخاتمه ، فدخل بها فعلقت منه بفارص وزارح . ومن نسل فارص هذا ، كان بوعز المتزوج بروث التى هى من نسل مواب . ومن ولدها كان داود النبى عليه السلام .

وأيضاً : ففى هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ . وهى أن يهوذا لما أخبر بأن كنته قد علقت من الزنا أفتى بإحراقها ، فبعثت إليه بخاتمه وعصاه ، وقالت له : من رب هذين أنا حامل . فقال : صدقت ، منى ذلك . واعتذر بأنه لم يعرفها ، ولم يعاودها . وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزوانى . وأن التوراة أتت بنسخ ذلك ، وأوجبت الرجم عليهن ، وفيه أيضاً من نسبتهم الزنا والكفر إلى أهل بيت النبوة ما يقارب ما نسبوه إلى لوطاً النبى عليه السلام . وهذا كله عندهم فى نص كتابهم وهم يجعلون هذا نسباً لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر ، ثم يرون أن المسلمين أحق بهذا اللقب من منتظرهم ، وكذبهم فى هذا القول من أظهر الأمور وأبينها . فأما دفعهم لإعجاز القرآن للفصحاء فليست بأعجب منه ، إذ كانوا لايعرفون من العربية مايفرقون به بين الفصاحة والعى ، مع طول مكثهم فيما بين المسلمين .

وأيضاً : فمن اعتراضهم على المسلمين : أنهم يقولون : كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضاً ؟ يريدون بذلك : ينسخ بعضه بعضاً .

فنقول لهم : ماتقولون فى السبت ، أيما أقدم افتراضها عليكم ، أو افتراض الصوم الأكبر ؟

فيقولون : السبت أقدم . لأنهم إن قالوا الصوم أقدم كذبناهم بأن السبت فرضت عليهم فى أول إعطائهم المن ، والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ، ومخالفتهم وعبادتهم العجل . ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك فى هذا اليوم ففرض عليهم صومه وتعظيمه . فإذا أقروا بتقديم السبت قلنا لهم : ما تقولون فى يوم السبت ، هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا ؟ فيقولون : بلى ، فنقول لهم : فلم فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ، ولكم فى هذا الصوم أنواع من المشقة : منها القيام جميع النهار أليس هذا أيضاً قد نسخ فريضة السبت .

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم فله فيما بينهم اسمان فقط ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، أحدهما « فاسور » وتفسيره : الساقط . والثانى « موشكاع » وتأويله المجنون . وأما القرآن العظيم فإنه يسمى فيما بينهم « قالون » وهو اسم للسوأة بلسانهم ، يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوأتهم ، وبذلك وأمثاله صاروا أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فكيف لا يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ؟

فصل معرب عن بعض فضائحهم

ومن الفضائح التي عندهم في مذهبهم في قصة اليباما والحالوص ، وذلك أنهم أمروا إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا يخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي ، بل ولد حميها ينكحها . وأول ولد يولد لها ينسب إلى أخيه الدارج . فإن أبى أن ينحكها شكته إلى مشيخة قومها قائلة : « قد أبى ابن حمى أن يستبقي اسماً لأخيه في إسرائيل ولم يرد نكاحي » ، فيحضره الحاكم هناك ويكلفه أن يقول : « لوحا فاصتى لقتحاه » .

تفسيره : ما أردت نكاحها ، فتتناول المرأة نعله فتخرجها من رجله وتمسكها بيدها وتبصق في وجهه وتنادى عليه :

(كاخا ييعاسى لا ايش اشير لو يبنى اث بيت احيوا) .

تفسيره : كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه . ويدعى اسمه فيما بعد بالمخلوع النعل ، ويبنى بيته بهذا اللقب ، أعنى بيت المخلوع النعل . هذا كله مفترض في التوراة عليهم . وفيه حكمة ملجئة للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة أن تشتكيه إلى نادى قومها فذلك مما يحمله على نكاحها ، فإن لم يردعه الحياء من ذلك ، فربما إذا حضر استحى أن يقول : ما أردت نكاحها . فإن لم يخجله ذلك فلربما يستحى من انتهاك العرض بخلع نعله ، وكون المرأة تسل نعله وتبصق في وجهه ، وتنادى عليه بقلة البركة والمروءة ، فإن هو استهان بذلك فربما استعظم أن ينبز باللقب ويبقى عليه وعلى آله من بعده عار وقبح اسمه فيلجئه ذلك إلى نكاحها ، فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك . وليس في التوراة غير هذا . ففرع فقهاؤهم على ذلك ما فيه خزيهم وفضيحتهم . وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخي زوجها المتوفى أكرهوه على النزول

عنها ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بحضر من مشيختهم ولقنوها أن تقول :
(ميابن سيامى لها فيا حبوشيم يسرائيل) .

تفسيره : أبى ابن حمى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل ، لم يرد نكاحى ، فيلزمونها بالكذب عليه . لأنه أراد فمنعته . وكان الامتناع منها والإرادة منه . و إذا لقنوها تلك الألفاظ فهم يأمرونها بالكذب و يحضرونه ويأمرونه بأن يقول (لوحا فاصتى لقحتاه) تفسيره : ماأردت نكاحها .

ولعل ذلك خلاف سؤله ومناه فيأمرونه أن يكذب . وأما خلع نعله وبصقها فى وجهه فغاية التعدى ، لأنه ما كفاهم أن كذبوا عليه وألزموه بأن يكذب حتى ألزموه عقاباً على ذنب لم يجنه . فصاروا كما قال الشاعر :

وجرم جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العقاب

ذكر السبب فى تشديدهم الأحد على أنفسهم :

تشديدهم الأحد على أنفسهم له سببان :

أحدهما من جانب فقهائهم وهم الذين يدعون (الخاخاميم) وتفسيره : الحكماء . وكانت اليهود فى قديم الزمان تسمى الفقهاء بالحكماء ، وكان لهم فى الشأم والمدائن مدارس ، وكان لهم ألوف من الفقهاء . وذلك فى زمن دولة السبط البابليين والفرس ودولة الروم . حتى اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما . وهما (المشنا والتلمود) . فأما المشنا : فهو الكتاب الأصغر ومبلغ حجمه ثمانمائة ورقة . وأما التلمود : فهو الكتاب الأكبر ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرته ، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه فى عصر واحد ، وإنما ألفوه فى جيل بعد جيل . فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف ، وأنه كلما مر جيل عليه زادوا فيه ، وأن هذه الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك و يمنعوا من الزيادة فيه أدى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش فطفقوا

الزيادة فيه . ومنعوا من ذلك وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه . وحرموا من يضيف إليه شيئاً آخر ، فوقف على ذلك المقدار .

وكانت أئمتهم قد حرموا عليهم فى هذين الكتابين مؤاكلة الأجانب ، أعنى من كان من غير ملتهم . وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبيحة من لم يكن على دينهم . لأنهم ـ أعنى علماءهم وأئمتهم ـ علموا أن دينهم لا يبقى عليهم فى هذه الحالة ، مع كونهم تحت الذل والعبودية ، إلا بأن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائحهم . ولم يمكنهم المبالغة فى ذلك إلا بحجة يستدعونها من أنفسهم ، ويكذبون بها على الله . لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم[1] ، لئلا يوافقوا أزواجهم فى عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى . وحرم عليهم فى التوراة أكل ذبائح الأمم الذين يذبحونها قرباناً للأصنام ، لأنه قد سمى عليها غير اسم الله . فأما الذبائح التى لا تذبح قرباناً فلم تنطق التوراة بتحريمها ، وإنما نطقت التوراة بإباحة تناول المأكل من يدى غيرهم من الأمم فى قول الله تعالى لموسى حين اجتازوا على أرض بنى العيص :

(لوتشكار وايام كى لواتين نخاميا رصام عاذ مذراخ كف داغل) .

تفسيره : فإنى لا أعطيك من أرضهم ولا مسلك قدم .

(أوخر تشير وميالمام بكيف واخليتم وغم مايم تخرد وميانام بكيسف وشيشم) .

تفسيره : مأكولا اعتاضوا منهم بفضة . وتأكلوه . وأيضاً ما تشتروا منهم بفضة وتشربوه .

فقد تبين من نص الكتاب أن المأكول مباح لليهود تناوله من غيرهم من الأمم وأكله . وهم يعلمون أن بنى العيص عابدوا أصنام وأصحاب كفر .

(١) المقصود بهذا النساء فقط وهم الذين يخشى على دينهم .

فلا يكون المسلمون على كل حال دون هذه المنزلة ، يعنى أن يساوى بينهم و بين بنى العيص . فينبغى أن يأكلوا من مأكولات المسلمين ، وأن يجعلوا للمسلمين تفضيلا بتوحيدهم و إيمانهم وكونهم لا يعبدون الأصنام . فموسى عليه السلام إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام وأكل مايذبحونه بأسمائها . ولسنا نعرف أحداً من المسلمين يذبح ذبيحته باسم صنم ولاوثن ، فما بال هولاء لايأكلون من ذبائح المسلمين ؟ بل من سكن فى الشام و بلاد العجم لايأكلون من أيدى المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز ، وغير ذلك من المأكولات .

فإن قالوا : لأن التوراة حرمت عايفا أكل الطريفا .

قلنا : إن الطريفا هى الفريسة التى يفترسها الأسد والذئب وغيره من السباع ودليل ذلك قوله فى التوراة :

(و ياسار سساذى طريفا لوثوخيلوا الكيلب يسليخوا واثوا) .

تفسيره : ولحماً فى الصحراء فريسة لا تأكلوا . للكلاب ألقوه .

فلما نظر أئمتهم أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام ، وأن التوراة قد صرحت بأن تحريم مواكلتهم ومخالطتهم خيف استدراجهم بالمخالطة إلى مناكحتهم إنما يكون لخوف اتباعهم والانتقال إلى أديانهم وعبادة أوثانهم ، ووجدوا جميع هذا واضحاً فى التوراة اختلقوا كتاباً سموه (هلكت شحيطا) ومعناه علم الذباحة ، ووضعوا فى هذا الكتاب من تشديد الأحد عليهم ما شغلوهم به عماهم فيه من الذل والمشقة . وذلك بأنهم أمروهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلىء هواء ، و يتأملوها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا ؟ فإن خرج منها الهواء حرموه ، وإن كان بعض أطراف الرئة لاصقاً ببعض لم يأكلوه .

وأيضاً : فإنهم أمروا الذى يفتقد الذبيحة أن يدخل يده فى بطن الذبيحة ،

و يتأمل بأصابعه . فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة ، حرموه ولم يأكلوه ، وسموه طريفاً . يعنون بذلك أنه تنجس فحرم أكله ، وهذه التسمية هى أول التعدى منهم ، لأنه ليس موضوعها باللغة إلا المفترس الذى يفترسه بعض الوحوش . ودليل ذلك قول يعقوب لما جاءوا بقميص يوسف ملوثاً بالدم :

(ويـكبراة و يومره كثرنث بنى خيـار أعا أخالا شهو طـاروف طوراف يوسف) .

تفسيره : فتأملها وقال : دراعـة ابنى ، وحش أذى أكله افتراساً افترس يوسف .

فقد تبين أن تفسير (طاروف طوراف يوسف) : افتراساً افترس يوسف . فالطريفا هى الفريسة .

ودليل آخر : وهو أنه قال (ولحماً فى الصحراء فريسة لاتأكلوا) والفريسة أبداً إنما تـكون فى الصحراء .

وليس ينبغى أن يعجب من ذلك ، فإن هذا النهى عن أكل الفريسة إنما نزل على قوم ذوى أخبية يسكنون البر . وذلك أنهم مكثوا يترددون فى التيه والبرارى تمام أربعين سنة . وكانوا أكثر هذه المدة لايجدون طعاماً إلا المن ، فلما اشتد طلبهم إلىاللحم جاءهم موسى بالسلوى ، وهو طائر صغير يشبه السمانى . وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ، ويذهب بالخنزوانة والقساوة . وذلك أن هذا الطائر يموت إذا سمع صوت الرعد . كما أن الخطاف يقتله البرد ، فيلهمه الله عز وجل أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون بها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوان المطر والرعد . فيخرج من الجزائر وينتشر فى الأرض . فجلب الله إليهم هذا الطائر لينتفعوا بما فى أكل لحمه من الخاصية ، وهى تليين القلوب

القاسية . وكان قد اشتد قرمهم إلى اللحم ، بحيث لم يمنعهم من أكل الفريسة والميتة إلا نزول تحريمها فى التوراة .

فقد تبين التعدى من مشايخهم فى تفسير الطريفا وأنها الفريسة .

فأما فقاؤهم فإنهم اختلقوا من أنفسهم هذيانات وخرافات تتعلق بالرئة والقلب ، وقالوا : ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط « فهو خياو » . تفسير هـذه الكلمة ظاهر ، وما كان خارجاً عن هـذه الشروط فهو طريفا . وفسروا هـذه الكلمة « حرام » وقالوا معنى قول التوراة : « ولحماً فريسة فى الصحراء لاتأكلوه للكلب ألقوه » . يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط ، بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم . وذلك أنهم فسروا قوله « للكلب ألقوه » أى لمن ليس على ملتكم أطعموه و بيعوه ، إلا أنهم على الحقيقة أشبه بالكلاب ، وأحق بهذا اللقب والتشبيه ، لقبح عقولهم ، وسوء ظنونهم واعتقادهم فى سواهم من الأمم .

إن اليهود فرقتان : إحداهما عرفت أن أولئك السلف الذين ألفوا (المشنا والتلمود) هم فقهاء اليهود ، وهم قوم كذابون على الله وعلى موسى النبى ، أصحاب حماقات وفراغات هائلة .

من ذلك : أن أكثر مسائل فقههم ومذاهبهم مختلفون فيها ، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا فى كل واحدة من هـذه المسائل يوحى الله إليهم بصوت يسمعه جمهورهم ، يقول : الحق فى هـذه المسألة مع الفقيه فلان . وهم يسمون الصوت (بث قول) ، فلما نظر اليهود القراءون ، وهم أصحاب عانان وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة ، وهـذا الافتراء الفاحش ، والكذب البارد ، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقالتهم ، فكذبوهم فى كل ماافتروا به على الله ، وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله ، وأنهم قد ادعوا

النبوة ، وزعموا أن الله كان يوحى إليهم جميعهم فى كل يوم مرات ، فقد فسقوا ، ولا يجوز قبول شيء منهم . نخالفوهم فى سائر ماألفوه من الأمور التى لم ينطق بها نص التوراة ، وأكلوا اللحم باللبن ، ولم يحرموا سوى لحم الجدى بلبن أمه فقط ، مراعاة للنص ، أعنى قول التوراة (لاتنضج الجدى بلبن أمه) .

وأما الترجمات التى ألفها (الحاخاميم) أعنى الفقهاء ، وسموها (هلكت شحيطا) أعنى علم الذباحة ، وهى المسائل الفقهية التى رتبها الفقهاء ونسبوها إلى الله عن موسى ، فإن القرائين أطرحوها مع غيرها وألقوها ، وصاروا لايحرمون شيئاً من الذبائح التى يتولون ذباحتها ألبته .

فهذا حال هذه الطائفة من اليهود ، أعنى القرائين .

ولهم أيضاً فقهاء أصحاب تصانيف ، إلا أنهم لم يبالغوا فى الكذب على الله إلى حد أن يدعوا النبوة ، ولا نسبوا أشياء من تفاسيرهم إلى النبوة ولا إلى الله بل إلى أحبارهم .

والفرقة الثانية : يقال لهم الربانيون ، وهم أكثر عدداً ، وهم شيعة (الحاخاميم) الفقهاء المفترين على الله ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم فى كل مسألة بالصوت الذى سموه (بث قول) .

وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم من سائر اليهود ، لأن أولئك الفقهاء المفترين على الله قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات إنما تحل للناس بأن يستعملوا فيها هـذا العلم الذى نسبوه إلى الله وإلى موسى ، وأن سائر الأمم لايعرفون هذا ، وأنهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله من الترهات التى أفسدوا بها عقولهم ، وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته كما ينظر إلى سائر الحيوانات التى لاعقل لها ، وينظر إلى المآكل التى تأكلها الأمم كما ينظر الرجل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى ، وغير ذلك من الأشياء القذرة التى لايسوغ لأحد أكلها ،

فهذا هو الأصل فى بقاء هذه الطائفة على أديانها لشدة مباينتها لغيرها من الأمم ، ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية .

وأما الطائفة الأولى ، وهم القراءون ، فأكثرهم خرج إلى دين الإسلام أولا فأولا ، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير ، لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام لسلامتهم من محالات فقهاء الربانيين ، أصحاب الافتراء الزائد ، الذين شددوا على جماعتهم الأحُد .

فقد تبين مما ذكرنا أن (الحاخاميم) هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم وضيقوا عليهم المعيشة والأحد . قصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الأمم حتى لايختلطوا بهم فيؤدى اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم .

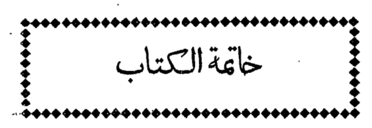
والسبب الثانى فى تضييق الأحد عليهم : أن اليهود مبددون فى شرق البلاد وغربها ، فما من جماعة منهم فى بلدة إلا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة ، يظهر لهم الخشونة فى دينه والمبالغة فى التورع والاحتياط ، فإن كان من المتفقهين فهو يسرع فى إنكار أشياء عليهم ، ويوهمهم التنزه عما هم فيه ، وينسبهم إلى قلة الدين ، وينسب ما ينكره عليهم إلى مشايخهم وأهل بلدهم ، ويكون فى أكثر ذلك الإسناد كاذباً ، ويكون قصده بذلك إما الرياسة عليهم وإما تحصيل غرض منهم ، ولا سيما إن أراد المقام بينهم ، أو التدبير عندهم ، فتراه أول ما ينزل عندهم لايأكل من أطعمتهم ولا من ذبائحهم ويتأمل سكين ذابحهم ، وينكر عليهم بعض أمره ويقول أنا لا آكل إلا من ذباحة يدى . فتراهم معه فى عذاب لايزال ينكر عليهم الحلال والمباح ، ويوهمهم تحريمه بإسنادات يخترعها ، حتى لا يشكوا فى ذلك . فإن وصل بعد مدة طويلة من أهل بلده من يعرف أنه كاذب فى تلك الإسنادات ، فلا يخلو من أن يوافقه أو يخالفه ، فإن وافقه فإنما يوافقه ليشاركه فى الرياسة الناموسية التى حصلت له ،

وخوفاً من أن يكذب إن خالفه وينسب إلى قلة الدين . وأيضاً فإن القادم الثانى فى أكثر الأمر يستحسن ما اعتمده القادم الأول من تحريم المباحات ، وإنكار المحللات . ويقول : لقد عظم الله ثواب فلان ، إذ قوى ناموس الشرع فى قلوب هؤلاء الجماعة ، وشيد سياجه ، وإذا لقيه على الانفراد يشكره ويجزيه خيراً ، ويقول له : لقد زين الله بك أهل بلدنا .

وإن كان القادم الثانى ينكر ما أتى به القادم الأول من الإنكار عليهم والتضييق ، لم يبق أحد من الجماعة يستنصحه ، ولا يصدقه بل جميعهم ينسبونه إلى قلة الدين . لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضييق المعيشة وتحريم المحللات ، هو المبالغة فى الدين ، والزهد . وهم أبداً يعتقدون الدين والحق مع من يضيق عليهم . ولا ينظرون هل يأتى بدليل أم لا ، ولا يبحثون عن كونه محقاً أو مبطلا . هذا حال القادم إلى بلد من متفقهة اليهود .

فأما إن كان القادم أحد أحبار اليهود وعلمائهم ، فهناك ترى العجب من الناموس الذى يعتمده . والسنن التى يحدثها ويلحقها بالفرائض ، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه . فتراهم مستسلمين إليه ، وهو يجتلب ويجلب بحيله وراء دراهمهم ، حتى لو بلغه أن بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق فى يوم السبت واشترى لبناً من بعض المسلمين أو خمراً ، لبّبه وسبه فى مجمع من يهود المدينة وأباحهم عرضه ، ونسبه إلى قلة الدين .

فهذا السبب الذى ذكرناه والسبب الذى قبله ، هما العلة فى تشديد الأحد الذى جعلته اليهود على أنفسها وتضييق المعيشة عليها ، وتجنبهم مآكل غيرهم ، ومخالطة من كان على غير ملتهم . وقد أوضحناها .



خاتمة الكتاب

خاتمـــة الكتاب

أحق الناس بأن يوسم بالجهالة ، ويميز بالضلالة ، من كان طبعه أبياً عن الانقياد للحقائق ، وعقله بعيداً عن فهم اليقين . فأما من سفل درجة عن ذلك ، وكان مع الامتناع عن تسليم الحقائق مسرعاً إلى قبول الباطل ، وتصديق المستحيل ، فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط . وهذه الطائفة أحق الناس بذلك . لأن آباءهم كانوا يشهدون فى كل يوم من الآيات الحسية ، والمنارات السامية مالم يره غيرهم من الأمم . وهم مع ذلك يهمون برجم موسى وهارون فى كثير من الأوقات . وكفى باتخاذهم العجل فى أيام موسى عليه السلام و إيثارهم العودة إلى مصر والرجوع إلى العبودية ، ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء . ثم عبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون ، ثم انضمامهم إلى ايشالوم الولد العاق ولد داود بيت ملك الكرخ فإن سوادهم الأعظم انضم إلى هذا الولد العاصى العاق . وشدوا معه على حرب الملك الكبير داود عليه السلام . ثم إنهم لما عادوا إلى طاعة داود جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إلى داود مستغفرين مما ارتكبوه ، مستبشرين بسلامة الملك داود ، بحيث اختصم الأسباط مع سبط يهوذا ، إذ عبروا بالملك الأردن قبل مجىء عساكر الأسباط ، غيرة منهم على السبق إلى خدمة الملك ، وتعاتبوا فى ذلك عتاباً رفيقاً فقال سبط يهوذا : نحن أحق الناس بالسبق إلى الملك والاختصاص بخدمته لأنه منا . فلا وجه لعتبكم علينا يا بنى إسرائيل فى ذلك فنبغ فضولى يقال له (نحزى بن شيبع) فنادى برفيع صوته « لاحظ لنا فى داود ولا نصيب لنا فى ابن بشاى ، ليمض كل منكم إلى خيان ياإسرائيليين » فما كان بأسرع من انفضاضهم ، أى جميع عساكر بنى إسرائيل عن داود ، بسبب كلمة ذلك الفضولى . ولما توصل الوزير (يؤاب) إلى قتل الشعب عادت العساكر جميعها إلى طاعة داود .

فما كان القوم إلا مثل رعاع همج العوام الذين تجمعهم دبدبة وتفرقهم صيحة .

وأما عبادتهم الكبشين ، وتركهم الحج إلى القدس ، ثم إصرارهم على مخالفة الأنبياء إلى انقضاء دولتهم فما يصدر من متمسك بأهداب العقل . وسبيلهم أن لا يتطرقوا إلى معاندة أحد من الأمم إذا كانت هذه مخازيهم وفضائحهم .

فأما تسرعهم إلى قبول الباطل والمستحيل ، فإنا نذكر منه طرفاً ينبىء عن قلة عقولهم .

وهو ما جرى فى زماننا من أذكاهم وأكيسهم وأمكرهم ، وهم يهود بغداد . فإن محتالا من شبان اليهود نشأ فى سواد الموصل ، يقال له «مناحيم» بن سليمان ، ويعرف بابن الروجى . وكان ذا جمال فى صورته . وقد تفقه فى دينهم بالإضافة إلى الحبر من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة بالعمارية من بلاد الموصل . وكان المتولى لقلعة هناك زميل لذلك المحتال ، وأحبه لحسن اعتقاده فيه . ولما توهم فيه من ديانة تظاهر بها ، بحيث إن الوالى كان يسعى إلى زيارته ، فطمع ذلك المحتال فى جانب الوالى ، واستضعف عقله ، فتوهم أنه يتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها ، وأنها تبقى له معقلا حصيناً . فكتب إلى اليهود القرائين المتفرقين بنواحى آذربيجان وماوالاها . لأنه علم أن اليهود الأعاجم أقوى جهالة من سائر اليهود . وذكر فى كتبه أنه قائم قد غار لليهود من يد المسلمين ، وخاطبهم بأنواع المكر والخديعة . فمن بعض فصول كتبه التى رأيتها ما هذا معناه : « ولعلكم تقولون هذا لأى شىء قد استفزنا : لحرب أم لقتال ؟ لا . لسنا نريدكم لحرب ولا لقتال ، بل لتكونوا واقفين بين يدى هذا القائم ليراكم هناك من يخشاه من رسل الملوك الذين ببابه » وفى أواخر الكتاب الكبير « ينبغى أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره من آلات الحرب ويخفيه تحت أثوابه » فاستجابت إليه يهود الأعاجم وأهل نواحى العمارية وسواد الموصل ،

ونفروا إليه بالسلاح المستتر ، حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة ، وكان الوالى لحسن ظنه به يظن أن أولئك القادمين إنما جاءوا لزيارة ذلك الحبر الذى قد ظهر لهم بزعمه فى بلده إلى أن تكشف له مطامعهم وكان حليما عن سفك الدماء ، فقتل صاحب الفتنة المحتال وحده ، وأما الباقون فتفاجوا مدبرين ، بعد أن ذاقوا وبال المشقة والخسارات والفقر . ولم تنكشف هذه القصة لهم مع ظهورها لكل ذى عقل ، بل هم إلى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم ، أعنى يهود العمارية . ومنهم من يعتقد أنه المسيح المنتظر بعينه . ولقد رأيت جماعة من يهود الأعاجم ، نحو سلماس وتبريز ومراغة قد جعلوا اسمه قسمهم الأعظم . وأما من فى العمارية من اليهود ، فصاروا أشد مباينة ومخالفة فى جميع أمورهم لليهود من النصارى . وفى تلك الولاية جماعة منهم على دين ينسبونه إلى مناحيم المحتال المذكور . ولما وصل الخبر إلى بغداد اتفق هنالك شخصان من محتالى اليهود ودواهى مشيختهم فزوروا على لسان مناحيم كتباً إلى بغداد ، يبشرهم بالفرج الذى كانوا قديماً ينتظرونه ، وإنه يعين لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس .

فانقاد اليهود البغداديون إليهما مع ما يدعونه من الذكاء ، ويفخرون به من الحب ، انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك . وذهبوا بنسوانهم وأموالهم وحليهم إلى ذينك الشيخين ، ليتصدقا به على من يستحقه بزعمهما ، وصرف اليهود جل أموالهم فى هذا الوجه واكتسوا ثياباً خضراً ، واجتمعوا فى تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران بزعمهم على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس . وارتفع من النساء بكاء على أطفالهن المرتضعين ، خوفاً أن يطرن قبل طيران أولادهن ، أو يطير أطفالهن قبلهن ، فتجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم . وتعجب المسلمون هناك مما اعترى اليهود حينئذ ، بحيث أحجموا عن معارضتهم ، حتى تنكشف آثار مواعيدهم العرقوبية . فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أسفر الصباح

عن خذلانهم وامتناعهم ، ونجا ذانك المحتالان بما وصل إليهما من أموال اليهود وانكشف لهم بعد ذلك وجه الحيلة ، وما تظاهروا به من جلباب الرذيلة ، فسموا ذلك العام عام الطيران . وصاروا يعتبرون به سنين كهولهم والشبان . وهو تاريخ البغداديين من المتهودة فى هذا الزمان . فكفاهم هذا الأمر عاراً دائماً وشناراً ملازماً .

وفيما قد أوردناه كفاية قاضية للوطر من إفحامهم وإلجامهم بما هو عين ما عندهم ، وأعوذ بالله مما يشركون ، وإليه البراءة مما يكفرون .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الرسالة السبيعية

بإبطال الديانة اليهودية

للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختص لذاته العلية بقوله السامى : (لا يسأل عما يفعل وهم يُسْئَلون) وجعل الناس أحزاباً وفرقاً . وقد تراهم بجهل وعلم كافة إليه يسألون . وأرسل إليهم رسلا وأنبياء جمة ، وأحصى معناهم بمحمد خاتم المرسلين . وأمرنا بالصلاة والسلام عليهم وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين .

أما بعد فهذه الرسالة المسماة السبيعية ، الحاوية لسبعتين من القضايا التنبيهية قد تتعلق بجواب يفيد معرفة . واستدلالا لزومياً للأحكام التوراتية بالشرائع القرآنية . على سؤال يرد من أحبار اليهود البواقى ، من الملة الإسرائيلية ، إلى رجل مهتد إلى الديانة المحمدية .

صورة السؤال :

ألا ياحبيبى : ماالذى ألجأك إلى أن تترك دين آبائك وأجدادك وتوراتهم وشريعتهم ، وتنتقل إلى دين الكوئيم دين الإسلام ، الذى كنت تبغضه وتشنؤه . كما نحن الآن جماعة اليهود ، ونكره الدخول فيه ؟

صورة الجواب :

ألا يابنى إسرائيل ، يا أقربائى وبنى جنسى : إنى أعلمكم بأن الذى ألجأنى إلى أن أترك ماعندكم وأدخل فى دين الإسلام هو مركب من سبعة قضايا :

أولها : أنى فحصت الفحص البليغ ، وتركت الغرض والعناد القبيح ، فوجدت كلام الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم عن هذا النبى العظيم محمد ، الذى اتبعته ، هى منطبقة عليه من كل الجهات ، ثم هذه النبوءات التى رأيتها فى كتب الأنبياء وسمعتها . فعلى ظنى أن ليس عليها مرد مطلقاً ، ولا ناقض بوجه الحق ، وهى من سيدنا موسى وأشعيا وداود وزكريا وغيرهم .

ثم مفردات هذه الشهادة مفندة في محلات كثيرة من كتب المباحثات والمجادلات فى هذا المعنى مأخوذة من التوراة عينها .

فمن جملة ماذكرت التوراة فى سفر التكوين المسمى بالعبرانى « باراشيب » بأن لسيدنا إسحاق جد الأنبياء بركة واحدة ، وذكرت لسيدنا إسماعيل جملة بركات ، وعليكم يا أحبائى بمراجعتها .

وثانيها : إن قبل مطالعتى لهذه البراهين كان دائماً يخطر لفكرى — كما الآن يخطار لفكركم — وكنت أقول لذاتى بأن توراتنا وزبورنا ونبوات أنبيائنا لم يوجد فيها أدنى إشارة عن نبى المسلمين .

ولكن بعد مدة مديدة من الزمان راجعت ذاتى وقلت فى عقلى : وَيْهْ وَيْهْ . كيف نبى مثل هذا الذى تبعته ألوف وكرات ومليونات ، وشعوبه وأمته أكثر بكرات من شعوب موسى ، وتبشيره للناس وإنذاره بترك الكفر والحث على الإيمان بالله ، ومجاهدته وغيرته الشهيرة ، أيهمل ويترك ، وينسى من الذكر عند أنبياء بنى إسرائيل ؟ فهذا القول بهذا الشكل الذى يعلمنا فيه أحبارنا والحاخاميم هو مضاد لكل عقل سليم ، بحيث إن أنبياء بنى إسرائيل أنبأوا عن أشياء كثيرة كلية وجزئية ، والإشارة عن هذا النبى هى من الأشياء الكلية اللازمة ، فكيف يتركونها وينسونها ؟ ويه ويه . أنا لايقبل عقلى كلام الحاخاميم الباطل وتأويلهم .

فالتزمت عندما امتلأ فكرى من هذا الميزان أن أفتش وأفحص بزيادة عما كنت أفحص من قبل ، فوجدت كما قدمت . وقلت : إن معانى كثيرة وإشارات غزيرة موجودة فى التوراة تشير إلى هذا النبى العظيم محمد ، وهذه هى التى كانت من جملة الأسباب التى أحوجتنى أن أترك الشريعة التوراتية ، وأتبع الشريعة القرآنية المهندمة بغاية الهندام ، والمنتظم إليها أخص مايوجد فى الشرائع السابقة .

وثالثها : اعلموا ياأقربائى وبنى جنسى ، إنى أخبركم أن الذى حملنى بعد ذلك أن أتبع هذا النبى الجليل محمد : من كونى نظرت أن جماعة اليهود على بكرة أبيهم فى كل مصر ومكان هم عائشون بغير شريعة التوراة ولاعاملون بأحكامها اللازمة لكون غير ممكنهم العمل بها ، لابل ممتنع . وقد تصرمت عنهم بالطبع وتلاشت وهى باقية بالورق فقط . ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة ، غير راض بخلودها ، لابل إنه راض بانقضائها وتبديلها .

والبرهان على ذلك هو من المشاهدات والمتواترات والتجريبات والحدسيات والأوليات ، إذ أننا نرى أن أعمدة وأركان هذه الشريعة الموسوية التى كانت مسندة عليها وفيها قوامها واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وعدمت ، مثل إبادة الملك والرياسة ، وعدم وجود الأنبياء ، وإبطال الكهنوت ، وخراب الهيكل السليمانى ، وهدم المذبح واندثار الذبائح ، ومحق الأسباط وما يتعلق بهم ، لأن هذه الأعمدة والأركان قد ربط بها الله سبحانه وتعالى جميع مايلزم من القضايا الدينية المشروعة فى التوراة ، حتى والأحكام المدنية ، لكى إذا عدمت هذه اللوازم الركنية وبطلت ـ كما هو مشاهد الآن ـ نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها ، بحيث تعلق الدين بها . والبرهان على ذلك واضح جداً ، وأجلى من ضياء الشمس بضحاها ، ومشاهد تحت حواسنا بقفاها . إذ أن الله سبحانه وتعالى قد نزع الملك منكم ، والاستيلاء الذى به كنتم تجرون الأحكام الدينية والمدنية وأبطل وجود الأنبياء من سلسلتكم على الإطلاق التى كانت تسوسكم وتنصحكم وتعلمكم وتنبئكم على ما كان وما يكون ، وتصنع المعجزات لكى تثبت لكم أن الذى كانت تخاطبكم به هو وحى من عند الله . وهذه الكثرة من الأنبياء قد كانت موجودة خاصة عند أمتكم بالحصر ، وليست عند من سواها ، وأباد الكهنة ورؤساء الكهنة والكهنوت الذى كان لايتم الخلاص

لليهود ولا الغفران إلا بهم وعلى أيديهم ، حتى ولا يجوز العمل الذى كانوا يعملونه فى الاستغفارات والتخلص من السيئات إلا بواسطتهم ، وهدم المذبح والهيكل الذى عمره سليمان اللذين كانا لا تتم أعمال القرابين إلا بهما .

ومحق الله سبحانه وتعالى وهدم معرفة الأسباط ورتبهم ووظائفهم المتعلقة بالخدمات الدينية ، والأحكام الحرسية والملكية .

ورابعها : وهى الأغرب من كل ماذكرناه — أن « أشداى أصباؤت أهيه شراهيه » حينما وضع شريعة التوراة وفرضها قد جعل على الأمة اليهودية شرائع ووصايا يجمع عددها ستمائة وثلاثة عشر وصية ، وهذه الوصايا الحاوية على هذا العدد قد ربطها ، وحكم حكماً صارماً على من لم يعملها بستمائة ثلاثة عشر لعنة . لأنه يقال فى سفر التثنية ، الاشتراع فى الأصحاح السابع والعشرين والثامن والعشرين « ملعوناً يكون من لا يعملها واحدة واحدة » ثم إن هذا الإله سبحانه وتعالى الذى من جملة أسمائه بالعبرانى « الألوهيم » « الأدوناى » قد وضع على من يخالف هذه الوصايا ولا يعمل بها واسطة للتخلص من تلك اللعنة المترتبة على المخالف : تطهيرات وتكفيرات وغفرانات وذبائح وقرابين بأعداد من الحيوانات والطيور ومعلومات . وحصر هذا الألوهيم الياهو فى هذه المذكورات أن تصنع وتقرب ضمن الهيكل والمذبح ورسم أيضاً بأن من يقدم قرباناً خارج الهيكل يقتل . وأمر بأن تكون القرابين مقدمة له تعالى على أيادى الأحبار ورؤساء كهنتهم . وكان كل من يتعدى ويخالف وصية من هذه الوصايا وتلزمه لعنة من هذه اللعنات يخلص منها بواسطة الكهنة ورؤساء الكهنة والهيكل والمذبح وباقى المذكورات . كما سبق من القول .

وأما الآن ياأقربائى وبنى جنسى ، قد رأيت أن عامة اليهود الباقية من بنى إسرائيل عند مايخالفون وصية من هذه الوصايا ، وتلزمهم لعنة من هذه اللعنات

المشروحة من سيدنا موسى فى التوراة ليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقاً . وهم حزنانين من كونهم غير ممكنهم العمل بكامل الوصايا المشروحة ، ومتحققين أنهم تحت مخالفتهم وثقيل عليهم حمل اللعنات الموضوعة عليهم . ويمتنع أيضاً فرارهم بالتطهيرات والتخلص من قصاصاتها ماداموا تحت نيرها . لأن الباب مسدود بواسطة ما أنا عازم على شرحه ويه ويه . ياأسفاه ، وياحسرتاه ، لأن الهيكل الذى عمره سليمان الذى هو مثال القبة الموسوية مع المذبح اللذين لاتكون هذه القرابين إلا بهما قد خربا وانهدما ، والذبائح والقرابين مع الكهنة ورؤساء الكهنة الذين كانوا يعملونها فى الهيكل والمذبح للفداء والتطهير مع باقى ماذكرناه من النبوة والملك والأسباط ومتعلقاتهم قد اضمحلوا وتلاشوا ، وما بقى لهم أثر بالكلية . فمن انعدام ماذكرناه إفراداً وإجماعاً ، وبطلانه ، ماعاد يمكن للباقى من الشعب الإسرائيلى التخلف من الخطايا ومن المرتب عليها من القصاصات . لابل وممتنع عليكم ياأحبائى التقرب إلى الله ، بحيث التزمتم تبعة لعنات شريعتكم التوراتية مع عدم مكنتكم أيضاً التطهيرات المربوطة عليها . وهذا القول ليس هو قولى ، ولا يجوز عندى أن ألعن ، بل هى لعنات شريعتكم وتوراتكم ، فإنى قصدت أن أذكركم إياها للتخلص منها إن شئتم كما تخلصت أنا منها بدخولى إلى الديانة المحمدية المبين عنها من موسى والأنبياء .

لأنه لو كان قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان هو ذاته سبحانه ربطها فى كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً ، ظاهراً فى كل حين وآن ، عند العالم والغبى والعاقل والجاهل ، والشيخ والشاب ، وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد أعدمت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين . وكل عاقل يرغب ثواب الآخرة قد يستدل على أن الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم هو أمر ضرورى ولازم .

وخامسها : ياأحبائى . ليس خافيكم أن فى الزمان الماضى قد جاء سيدنا عيسى فاستكبرتم عليه وتكلمتم فى حقه ألفاظاً غير جائزة ومحرمة . لاسيما أنها مبنية على التزوير والبهتان والكذب التى بسببها مع غيرها قد ورد عليكم القصاص فى القرآن الشريف أكثر من أربع مرات ، بألفاظ متعددة ومفزعة جداً . ومضمونها تكرار ماوضعه سيدنا موسى عليكم على مخالفتكم الوصايا المار شرحها . ولكن مع هذا كله إن أناساً كثيرين من اليهود اتبعوا دين عيسى الأصلى الصحيح ، وإنجيله السليم ، وهم ألوف وكرات ومليونات . وتخلصوا من لعنات الشريعة التى ذكرناها . وقد وعد سيدنا عيسى بمجىء محمد ﷺ المصطفى ، وأشار عنه بإشارات كثيرة .

ومنها : أنه قد سماه « الفارقليط » وهى كلمة يونانية وترجمتها للعربى : الداعى . وهى — أى الداعى — من جملة أسمائه الشريفة . وقد نظرت هذه اللفظة مع جملة براهين مؤلفة من علماء النصارى وأحبار اليهود المهتدين . وهى بحق تصدق الدين المحمدى ومسندة على التوراة والإنجيل والزبور . وهذه البراهين من هذه الكتب قد كان يتردد فيها بعض حاخاميم اليهود فى زمان المصطفى ويتبعونه ، ويدخلون فى دينه ، الذين منهم عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار وغيرهم كثيرين .

وسادسها : وإذ رأى الأحبار والحاخاميم الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين فى تلك الأعصار تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين ، وما بقى عندهم إلا القليل من الناس ، كما هو مشاهد فقد شرعوا فى عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة فى التوراة بحقهما . واخترعوا آراء مستحدثة ، حتى قد رأوا أن يبقوا الباقين فى دينهم إلى الآن . ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبين ومنقسمة

آراؤهم فى الكثير مما ذكرته ، وهم من الناس العقلاء . و بعض منهم عارفون الحق ولكنهم مربوطون فى وظائفهم الدينية والأموال والأولاد والعيال . و بعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التى يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة ، بحيث غير ممكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات . مع عدم إمكان عمل الوسائط بالقرابين التى كانت تخلص الناس منها .

ثم ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة قد اخترعوا لهم رأياً أبتر ليس له عندهم سند فى التوراة مطلقاً ، لا من موسى ، ولا من الأنبياء وهو التقميص . أعنى أن الإنسان اليهودى عندما يموت وهو غير مكمل الوصايا المشروحة ، ومديون إلى الكثير منها ووقع تحت هذه اللعنات . فيلزمه الرجوع للدنيا ثانى مرة ، أو ثالث مرة أو إلى أكثر من ذلك ، إلى أن يكمل كل الوصايا و يتخلص من جرثومة هذه اللعنات رويداً رويداً . ثم لما فحصت ودققت واتصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة وليس لها سند فى التوراة ، كما تكلمت سابقاً ، فقلت لنفسى : وَيْهْ وَيْه ، ما الذى يحملك على قعودك فى هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها ، والعمل بها . لا بل وممتنع أيضاً ، و إنك مع جماعة اليهود أبناء جنسك واقعون تحت قصاصاتها المحررة فى التوراة .

ثم حدثت نفسى وقلت : إذا كان غير ممكن العمل بكامل الوصايا ، وممتنع أيضاً التطهير للواقع تحت مخالفتها وديانة التوراة هى مربوطة بالوجهين ، ومن لا يعمل بهما فهو كالذى بغير دين . فكيف أقعد أنا بغير دين ولا شريعة ؟ وكيف أنسب نفسى أنى يهودى وتحت شريعة موسى والتوراة وأنا عار منهما ، و برىء ؟ . وهما بعيدان عنى بعداً كبعد السماء من الأرض ؟ وبذلك أكون بلاشك لاسمح الله من أهل العذاب ، لأنه ممتنع علىّ أن أعمل الوصايا ، ولا أقدر

أن أجرى مافرضه الله على من التطهيرات والتكفيرات كما سبق من القول .

ومن هنا أدركت أن الذى بناها بحكمته هو هو الذى هدمها بحكمته ، واحد لايسأل عما يفعل وهم يسئلون . إذ أن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا .

وسابعاً : أنى قلت لنفسى : يا هل ترى ، ما الذى يمنعنى عن اتباع الحق ؟ فقلت : لا مانع لك .

ثم قلت : وما هو الفرق الحاصل فيما بين ديانتى وبين الديانة المحمدية ؟ فأجبت ذاتى وقلت : إن الفروقات الباقية اللازمة والضرورية فى هذا المعنى غير المتقدم شرحه . هن سبع :

الفرق الأول : هو ترك فرائض المأكولات التى حرمتها الحاخاميم وأثقالها .

الثانى : هو التخلص من هذه اللعنات ونكباتها .

الثالث : أن أطرح الكلام الردىء ، والتجديف الذى كنت أتكلمه وأعتقده بحق عيسى وأمه وغيرهما من حواريه وتعلياته .

الرابع : أن أقر بأنه نبى ورسول من عند الله برسالة معلنة بأفرادها .

الخامس : أن أقلع البغضة المزروعة فى قلبى بحق الأمم من الناس . وهى معى عن آبائى وأجدادى ، وبحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بنوع أبلغ ، الحاوى أكثر المحامد وصفاتها .

السادس : أعترف بأنه نبى عظيم ، ورسول من عند الله ، وشفيع للقائلين له : أنت لها ، أنت لها .

السابع : أعترف أنه جاء بشريعة عدلية ، وفضيلة كاملة ، حاوية معنى جوهريات ماجاء فى الشرائع السابقة ، وأحسن القصص ، مهندمة إياها بالاستثناء اللازم لها .

هذا هو الذى يزيد علىّ ويلزمنى ، إذ أن إيمانى بوحدانية الله تعالى هو هو.

وختانى بطهورى هو هو . وبعدى عن المرأة فى أوقات معلومة هو هو . وتطهيراتى وإسقاط غسلى هى هى . وكثير من الأحكام التوراتية . كأوجه الزواج المربوط بالقرابات غدا وجهين زائدين هى هى . واعترافى بموسى ونوح وإبرهيم وباقى الأنبياء هو هو . والشرائع العدلية كالعين بالعين والسن بالسن هى هى . وقد رأيت كل مايلزم ويتعلق اتباعه لذلك هو هو ، محرر فى القرآن الشريف ، زائد المندام ، حسن التوقيع ، مرتبط بأظرف عبارة ، ومتعانق إليه كل مايلزم من الأمور العائدة لإصلاح الدنيا والآخرة .

فهذا وأمثاله هو الذى أحوجنى أن أترك الدين اليهودى المتروك بالطبع ، إذ نراه كميت لايتحرك . وأتبع الدين المحمدى الحى المتحرك .

والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل ، وأجهر بصوتى وأقول :

أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فأنتم ياجماعة اليهود البواقى من بنى إسرائيل إن كان الأحبار طلبونى من كل قلوبهم بسؤالهم أن يروا مارأيته . وما الذى حملنى على ذلك ويسمعوا ماسمعتم واهتديت به فليكرروا مطالعة رسالتى هذه التى سميتها «السبيعية الحاوية الضوابط الإرشادية» وليراجعوا الشهادات التى عرفت عنها المأخوذة من كتبهم الدالة على اسمه المصطفى نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ، وتشكيلاته وأعماله ، مع شرح بعض التحريف الموجود فى كتبكم المجموع بعضه فى كتاب : البحث الصريح فى الدين الصحيح المنسوب إلى المرحوم الشيخ زيادة فى الباب الرابع والخامس . ومن بعد وقوفكم على جوابى هذا أرجو أن تعذرونى ، وإن كان يغيب عنكم شىء اطلبوا إلى الله تعالى أن يرشدكم ويأتيكم بالبيان .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين .

الفهرس

